

جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي -

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم العلوم الإنسانية



المراكز التعليمية في المغرب الأوسط من بداية عهد

الموحدين إلى نهاية الزيانيين

534 - 962 هـ / 1139 - 1554 م

مذكرة مكّلة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الوسيط و الحديث

الأستاذ المشرف :

أ.د عاشوري قمعون

إعداد الطالبتين :

- حدة حافي

- ليلي ضو

لجنة المناقشة :

الرقم	الأستاذ	الصفة	مؤسسة الانتساب
01	أ . أحمد بن خيرة	رئيس الجلسة	جامعة حمه لخضر - الوادي
02	أ.د. عاشور يقمعون	مشرفا و مقررا	جامعة حمه لخضر - الوادي
03	أ . السعيد عقبة	عضوا مناقشا	جامعة حمه لخضر - الوادي

السنة الجامعية: 1437 . 1438 هـ / 2016 . 2017م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ

أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

خَيْرٌ وَأَلْيُّ لِلَّهِ الْعَظِيمِ

(سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ - آيَةُ 11)

شكرنا

نشكر الله عز وجل الذي أنعم علينا بأن أرشدنا لطريق الهداية، ودلنا إلى طريق العلم وسخر لنا منهم رجالا نتلقى على أيديهم حب العلم والمعرفة .

نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل "**عاشوري قمعون**" ،الذي قبل الإشراف على هذا العمل. وقدم لنا يد العون والمساندة، ولم يبخل علينا بتوجيهاته المفيدة، ونصائحه المتميزة. أفادتنا كثيرا في كتابة موضوعنا. فله منا جزيل الشكر، وفائق الاحترام والتقدير.

كما نتقدم بشكر خاص إلى أساتذة جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، وخاصة الذين درسونا وأفادونا طوال المشوار الجامعي؛ وإلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تحملوا مشقة قراءة هذا البحث وتصويبه.

قائمة المختصرات

ص	صفحة
ج	جزء
مج	مجلد
ط	طبعة
هـ	هجري
م	ميلادي
ت	توفي
تر	ترجمة
مر	مراجعة
تح	تحقيق
تق	تقديم
دت	دون تاريخ
دط	دون طبعة
دم	دون مكان
ددن	دون دار نشر
ص ص	صفحات متتالية

مقدمة

مقدمة

تعتبر الدولة الموحدية (524-627هـ/1129-1230م) التي قامت أولا في المغرب الأقصى، ثم وحدت كامل بلاد المغرب، من أعظم وأشهر الدول المغاربية. كما تعد الدولة الزيانية التي قامت بالمغرب الأوسط (633-962هـ/1235-1555م) من أهم الدول التي مرت بأحداث تاريخية وسياسية وثقافية وعلمية بالدرجة الأولى، وخلفت آثارا مادية تشهد على مدى ما بلغته حضارتها إلى يومنا هذا.

إن دراستنا لهذه الفترة لها مردودها الفكري والثقافي والعلمي، مما كان له الحظ الأوفر خلال عصر الموحدين والزيانيين. وعلى هذا الأساس، تكمن أهمية الموضوع في دراسة المراكز التعليمية وتوضيح حصيلة النشاط التعليمي في كل من الدولتين .

الإطار المكاني والزمني للموضوع :

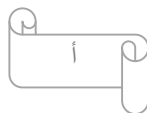
إن الإطار المكاني لموضوعنا هو المغرب الأوسط في ظل حكم الموحدين والزيانيين، ومن المهم استحضار حدوده الجغرافية. أما بالنسبة للإطار الزمني، فهو يمتد منذ سيطرة الموحدين على المغرب الأوسط عام 534هـ/1139م إلى نهاية عهد بني زيان سنة 962هـ/1554م عندما ظهرت على مسرح الأحداث قوة جديدة سيطرت على المغرب الأوسط، ألا وهي الدولة العثمانية .

إشكالية الموضوع :

ومن خلال ما سبق، يمكن طرح الإشكالية التالية :

كيف كان دور المراكز التعليمية في المغرب الأوسط في عهد الموحدين والزيانيين؟

ونظرا للجوانب العديدة التي يتضمنها موضوع الدراسة، فإننا نجد أنفسنا أمام العديد من التساؤلات وهي :



- ماهي الأساليب التي اتخذها الموحدون لضم المغرب الأوسط تحت حكمهم ؟
- ما هي أهم الحواضر العلمية التي برزت خلال عهد الموحدين ؟
- ما أهم العوامل التي ساعدت على انتشار المراكز التعليمية في العهدين ؟
- بم امتاز نظام التعليم داخل هذه المراكز خلال العهدين ؟
- ماهي حصيلة النشاط التعليمي لهذه المراكز ؟

دواعي اختيار الموضوع :

- رغبة منا في التعرف على المراكز التعليمية في العصر الوسيط في المغرب الأوسط خلال عهد الموحدين إلى نهاية دولة الزيانيين.
- تسليط الضوء على المؤسسات ونظامها في هذه الفترة.
- إبراز شخصية المغرب الأوسط من الناحية العلمية والثقافية .

خطة البحث:

ولحل الإشكالية السابقة، وللإجابة عن التساؤلات، رسمنا خطة الموضوع التي قسمناها إلى ثلاثة فصول، وفصل تمهيدي رأيناه ضروريا للتعرف على حواضر المغرب الأوسط خلال عهد الموحدين، وارتباط المغرب الأوسط بالسلطة الموحدية .

وأفردنا في الفصل الأول عوامل انتشار المراكز التعليمية التي قسمناها إلى مبحثين مهمين، الأول: بعنوان عوامل ازدهار المراكز التعليمية خلال العهدين من استقرار سياسي إلى اهتمام وتشجيع السلاطين، إضافة إلى الدور الأندلسي الذي قامت به طبقات معينة من الأندلسيين؛ والمبحث الثاني بعنوان: المراكز التعليمية في المغرب الأوسط في عهد الموحدين والزيانيين من مساجد وكتاتيب ورباطات ومدارس ومكتبات (عامة وخاصة) .

أما الفصل الثاني وعنوانه: نظام التعليم خلال العهدين فهو مقسم إلى مبحثين: الأول بعنوان: مراحل وطرق التعليم، والثاني: الإجازة وأهم المجازين .

أما الفصل الثالث فعنوانه: أهم العلوم المدرسة خلال العهدين ودور المراكز التعليمية في ترسيخ المذهب المالكي في عهد بني زيان . وقسم إلى مبحثين، الأول: بعنوان العلوم المدرسة وتنقسم إلى نقلية وعقلية، والمبحث الثاني: ترسيخ المذهب المالكي، وأهم النماذج للمجتهدين خلال عصر الزيانيين.

وذيّلنا بحثنا بالخاتمة التي تضمنت مجموعة من الاستنتاجات التي تعتبر حصيلة تكشف عنها هذا الموضوع من حيث محاولات إبراز كل الحالات التي صادفناها في ثنايا البحث .

المناهج المتبعة:

لقد طبقنا عدة مناهج بسبب تنوع الفصول. وقد اعتمدنا في الفصل التمهيدي على المنهج الوصفي السردى لوصف المجال الجغرافى والحواضر العلمية، والسردى لربط المغرب الأوسط بسلطة الموحيدين . كما اعتمدنا في بقية الفصول على المنهج الوصفي والمنهج التكاملي حتى نصل إلى الفهم العميق لكلا العهدين: الموحيدي والزياني.

نقد وتحليل لأهم المصادر والمراجع :

اعتمدنا في هذا البحث على العديد من المصادر والمراجع، التي استفادت منها الدراسة في مختلف جوانبها. ويمكننا الإشارة إلى أهمها، مثل كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب لمؤلفه عبد الواحد المراكشي ت 647-1249م. فهو مصدر ضروري لعصر الموحيدين لأنه عاصر الدولة الموحدية، وشاهد أحداثها. وقد استفدنا منه في النواحي السياسية والثقافية والفكرية. كما أفادنا في مساهمة السلاطين والحكام في تشجيع الحركة العلمية .

ومن بين المصادر التاريخية المهمة أيضا، نجد: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، للمؤرخ الكبير ابن خلدون (ت. 1405/808م). قدم لنا هذا الكتاب معلومات مهمة وكثيرة على الدولة الموحدية والزيانية، وتعيين الولاة الموحدين على مناطق المغرب الأوسط، وانفصال بني زيان عن الدولة الموحدية في آخر أيام الموحدين.

بالإضافة إلى مقدمة ابن خلدون التي عالجت مواضيع عديدة وبطريقة رائعة، حيث استفدنا منها في البحث عن معرفة مختلف العلوم السائدة في عصره.

وكتاب الحلل الموشية لمؤلف مجهول، الذي كان حيا سنة 783هـ/1381م. وقد أفادنا في الجانب الثقافي والعلمي والتاريخي والسياسي وظهور الدولة الموحدية.

وكذلك كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس. كان حيا سنة 726هـ/1325م. أعطانا العديد من المعلومات في الجانب السياسي، وخاصة حملات عبد المؤمن على حواضر المغرب الأوسط. ومن الناحية الجغرافية، اعتمدنا على نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي أبي عبد الله محمد الشريف (ت. 560هـ/1164م) أفادنا في الفصل التمهيدي من خلال وصفه والتعريف بمختلف الحواضر. عاش فترة الموحدين.

كما أن كتاب الاستبصار لا يقل أهمية عن المصادر الأخرى. وصاحبه مؤلف مجهول عاش خلال فترة الموحدين 587هـ/1191م. استفدنا منه من ناحية تقسيماته الجغرافية للمغرب الأوسط، والتعريف بأهم الحواضر.

بالإضافة إلى كتب التراجم التي أفادتنا أيما فائدة في موضوعنا، ومنها: كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لابن عبد الملك أبي عبد الله محمد بن محمد المراكشي

(ت.703هـ/1303م)، وخاصة السفر الأول والثامن اللذين أفادانا في تراجم العلماء، ولاسيما الأندلسيين الوافدين إلى مدن المغرب الأوسط.

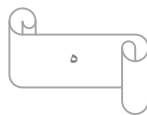
وهناك كتاب "عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" للمؤلف أبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني (ت.704هـ/1304م). فهو من أهم المصادر. يضم فقهاء ومتصوفين وشعراء وأدباء، وخاصة العلماء الذين تحصلوا على إجازات علمية.

وكتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس وأهل المغرب لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت.914هـ/1508م). تضمن الكتاب فتاوى أهل المغرب خلال العهدين الموحي والزياني، وعالج العديد من جوانب الحياة العامة للمغرب. وقد استفدنا منه في فتاوى التعليم. وكذلك كتاب أدب المعلمين لابن سحنون (ت.256هـ/869م) الذي أفادنا في طرق التعليم وكيفية التدريس وأهم المواد والمناهج.

المراجع:

أما المراجع المختلفة التي عدنا إليها، فمنها: كتاب الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى لأحمد بن خالد الناصري السلاوي (ت.1315هـ/1897م). استفدنا منه من خلال ما وردناه من إنجازات الموحدين في الحياة الثقافية والفكرية. ورجعنا كذلك إلى كتاب المنوني وموضوعه حضارة الموحدين، يعتبر من الكتب الهامة جدا. أفادنا في المناهج داخل المراكز التعليمية والعلوم المدروسة.

بالإضافة إلى مرجع مهم لفترة بني زيان، وعنوانه التعليم في تلمسان في العهد الزياني لعبد الجليل قريان. أفادنا حول التعليم ونظامه في المراكز التعليمية، وخاصة فقه المجتهدين في المذهب المالكي. وكذلك كتاب تلمسان في العهد الزياني لعبد العزيز فيلالي. اعتمدنا على الجزأين، وأفادنا كثيرا، وخاصة في مراحل التعليم وطرق المدارس الخمس لمدينة تلمسان.



المراجع المترجمة

ورجعنا لكتاب تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين الجزء الثاني، ليوسف اشباخ. أفادنا في الناحية التعليمية، ودور سلاطين الموحدين في نمو وازدهار الحركة العلمية.

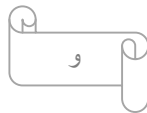
صعوبات البحث:

واجهتنا عدة صعوبات عند إنجازنا لهذا البحث، من بينها:

- صعوبة تحديد الموقع الجغرافي للمغرب الأوسط. وما زاد في صعوبة ذلك هو تعيين الحدود الجنوبية التي كان من الصعب تحديدها بدقة في جميع الدول المتعاقبة.
- تركيز المصادر على الناحية السياسية أكثر من الناحية العلمية أو الثقافية، وخاصة في ذكر الحواضر.
- صعوبة دراسة المراكز التعليمية في العهد الموحي بالمغرب الأوسط مقارنة بالمغرب الأقصى، مقر الحكم والخلافة. ولم تذكر المدارس في المغرب الأوسط إلا في عهد الزيانيين
- طول الفترة الزمنية المدروسة التي جعلتنا نواجه صعوبة في جمع شتات الموضوع من كل النواحي.

وفي الختام، نرجو أن نكون قد أحطنا ولو بجزء يسير من بحثنا. ونغتنم الفرصة السانحة لنقدم بأحر تشكراتنا لأستاذنا المشرف "عاشوري قمعون"، الذي لم يبخل علينا بإرشاداته القيمة، وتوجيهاته السديدة، في متابعته لهذا العمل من بدايته إلى نهايته، وتصويب كل الأخطاء التي وردت في ثنايا البحث. فله منا كل التجلة والاعتبار. كما يجدر بنا أن لا ننسى كل من قدم لنا يد المساعدة، سواء عمال المكتبة، أو غيرهم، فنقدم لهم كل آيات العرفان والاحترام.

والله ولي التوفيق



فصل تمهيدي :

المجال الجغرافي للمغرب الأوسط
خلال عهد الموحدين والزيانيين
وأهم الحواضر العلمية .

أ:الموقع الجغرافي

ب:أهم الحواضر العلمية

نهدف من خلال هذا البحث إلى تهيئة القارئ لفهم الأحداث التي تطرقنا إليها في ثنايا هذا الموضوع، حتى نمكنه من استيعابها بشكل متسلسل، سواء من الناحية التاريخية أو الجغرافية والسياسية، إضافة إلى الحياة العلمية وازدهارها في المغرب الأوسط خلال عهدي الموحدين والزيانيين .

ويصعب تحديد جغرافية المغرب الأوسط في ظل الوحدة المفروضة سياسيا وجغرافيا، والتي تحققت في عهد الدولة الموحدية التي بسطت سيطرتها على جميع تراب الشمال الإفريقي من المحيط الأطلسي غربا، إلى طرابلس وبرقة شرقا، ومن جبال الشارات "البرانس" بأقصى شرق الأندلس، إلى تخوم صحراء إفريقية الكبرى. فهي أعظم مملكة شهدتها الإسلام في المغرب الإسلامي.¹

ويضبط لنا الموقع الجغرافي طبيعة الحركة العلمية التي نشطت ضمن حدودها وحواضرها في عصر الموحدين. ويؤكد لنا الإدريسي (ت. 560هـ/1164م) أن المغرب الأوسط يقع في الجزء الأول من الإقليم الثالث وقاعدته بجاية، ويضم: تنس وقسنطينة وجزائر بني مزغنة² وبرشك....³ ويؤكد أبو الفداء (ت. 732هـ/1331م) على أن وهران وتلمسان وبجاية تقع ضمن حدود المغرب الأوسط بقوله: "والقطعة الثانية تعرف بالمغرب الأوسط من شرق وهران عن تلمسان مسيرة يوم، وعن شرقها إلى آخر حدود مملكة بجاية من الشرق".⁴

¹ - عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مطبعة بريل، لندن، 1881، ص164.

² - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتب الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، مج الأول، ص222.

³ - برشك اسم لمدينه كانت معروفه في القرون الوسطى وكانت تقع على شاطئ البحر بين شرشال وتنس. انظر، عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، بتح [محمود أغا بوعيداد]، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص284.

⁴ - تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، 1840، ص122.

أما ابن خلدون (ت808هـ/1405م) فيؤكد أن مدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط وأم بلاد زناتة واختطها بنو يفرن.¹

ويقول ابن خلدون: "أن المغرب الأوسط هو في الأغلب ديار زناتة؛ وكان لمغراوة وبنو يفرن، وكان معهم مديونة ومغلية وكومية ومطغرة ومطماطة، ثم من بعدهم لبني ماتوا وبني يلومي. ثم أصبح لبني عبد الواد وقاعدته تلمسان".²

وبالنسبة للحدود الشرقية، فقد امتدت إلى بونة، لقول عبد الواحد المراكشي (ت. 647هـ/1249م): "ومدينة بونة هي أول حد لبلاد أفريقية"³. وبين ابن خلدون الحدود الغربية للمغرب الأوسط بقوله: "المغرب الأقصى هو ما بين واد ملوية إلى جهة الشرق إلى اسفي حاضرة البحر المحيط..... وأما نهر ملوية فهو آخر المغرب الأقصى". أي أن الحدود الشرقية للمغرب الأقصى هي بداية الحدود الغربية للمغرب الأوسط.⁴ (نظر الملحق رقم 01).

وكما آل المغرب الأوسط إلى حكم الموحدين عام 534-688هـ/1139-1289م، فنجحوا في إدماج هذه المجالات من برقة شرقا، إلى طنجة غربا، والسوس الأقصى جنوبا؛ فكان التوحيد على المستوى الجغرافي والسياسي والاجتماعي وحتى الثقافي والعلمي.⁵ وازدهرت الحركة العلمية بالمغرب الأوسط في عهد الموحدين، وظهرت عدة حواضر مهمة في كل من تلمسان وبجاية ووهران وقلعة بني حماد وقسنطينة وبونة وجزائر بني مزغنة وورجلان. وقد ساعدت هذه الحركة العلمية على نمو الحواضر وانتشار المراكز التعليمية.

¹ - كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العجم والعرب والبربر ومن عاصروهم من ذوي الشأن الأكبر، مر [خليل شحادة وسهيل زكار]، دار الفكر، بيروت، 2000، ج6، ص134.

² - ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص102.

³ - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص147.

⁴ - ج6، ص133.

⁵ - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص164.

ولقد اصطبغت هذه الحواضر بصبغة علمية ثقافية حضارية، وخاصة في العهد الموحيدي.

حاضرة تلمسان:

حيث آلت مدينة تلمسان إلى حكم الموحدين¹، وشرع عبد المؤمن² في بسط نفوذه، فتحرك بجنده سنة 534هـ/1139م متوجها إلى أعماق تلمسان، فمر في طريقه على الريف، فاستولى عليه. ثم عرج مشرفا على أحواز تلمسان، وهناك اصطدم بجيش المرابطين، فجرت بينهما حرب. وقد حاصر عبد المؤمن تلمسان من جهاتها الأربع³، وكان احتلاله لتلمسان على مرحلتين، وفي المرحلة الثانية استطاع إخضاعها لأملاكه⁴، وولى عليها السيد أبا حفص عمر عاملا على تلمسان، ووجه معه أبا محمد بن وانودين⁵.

ويصفها البكري ت(487هـ/1094م) بقوله: " هي مدينة مسورة، في سفح جبل شجرة الجوز. ولها خمسة أبواب، منها في القبلة: باب الحمام، وباب وهبة؛ وفي الشرق: باب العفية، وفي الغرب: باب أبي نزة وبينها وبين المدينة ستة أميال. وهذه مدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ".⁶ ويقول الحميري: " تلمسان مدينة عظيمة وقديمة. فيها آثار للأولى كثيرة، تدل على

¹ - علي عشي : المغرب الأوسط في عهد الموحدين. دراسة تحليلية للأوضاع الثقافية والفكرية 534هـ/1139م-633هـ/1235م، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، باتنة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، 2012، ص 62.
² عبد المؤمن بن علي الكومي (487-558/1094-1163م)، وهو بن مخلوف يحي بن مروان محمد الكومي نسبة إلى قبيلة كومه ولد بمدينة ندرومة وهو موحد بلاد المغرب. انظر، عز الدين ميدون: ندرومة مدينة عبد المؤمن، دار السبيل، الجزائر، 2011، ج2، ص 77.

³ - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1965، ط2، ج2، ص 296.
⁴ - بسام كامل عبد الرزاق شقدان: تلمسان في العهد الزياني (633-962/1235-1555م) جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، د. ت، ص 48.

⁵ - مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر أخبار المراكشية، تح[سهيل زكار وعبد القادر زمامة]، دار الرشاد الحديثة، دار البيضاء، 1979، ص 151.

⁶ - أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، د ت، ص 76.

أنها كانت دار مملكة للأمم السابقة. وبينها وبين وهران مرحلتان. ولم يكن في بلاد المغرب بعد أغمات وفاس أكثر من أهلها أموالا، ولا أرفه حالا.¹

إن لمدينة تلمسان ماضيا تاريخيا هاما، اكتسبته من موقعها الجغرافي الهام؛ من كونها صارت عاصمة للمغرب الأوسط والجزائر أكثر من ثلاثة قرون. ازدهر خلالها الفكر، وأخصبت الحضارة، وتطور العمران، واستشهد العديد من رجالات الفكر والسياسة والثقافة، مما جعلها في الأخير مدينة للفقهاء والثقافة.² حيث قال عنها البكري: ولم تزل تلمسان دار العلماء المحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله.³

ولقد تأسست تلمسان على يد يوسف بن تاشفين سنة (473هـ/1080م)، وعرفت الحركة الفكرية بها نشاطا منذ عهد المرابطين.⁴

ويقول عنها مؤلف مجهول صاحب الاستبصار: "مدينة تلمسان مدينة علم وخير ولم تزل دار العلماء والمحدثين".⁵

¹ - محمد بن عبد الله الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح [إحسان عباس] مكتبة لبنان، بيروت 1984، ط2، ص135.

² يحيى بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، منشورات وزارة الثقافة والسياحة ومديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر، د، ت، ص15.

³ ص77.

⁴ علي عشي: المرجع السابق، ص67.

⁵ مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، تح[سعد زغلول عبد الحميد]، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص177.

حاضرة بجاية :

ولما آل لعبد المؤمن جميع أقطار المغرب الأقصى مما ملكه المرابطون، جمع جموعا عظيمة وخرج من مراكش قاصدا مملكة يحيى بن عبد العزيز بن المنصور الصنهاجي، وكان يملك بجاية، فقصدها عبد المؤمن سنة (540هـ/1145م)، وحاصرها وضيق عليها أشد التضيق. وتمكن عبد المؤمن من دخول بجاية وملك قلعة بني حماد، وهي معقد صنهاجة الأعظم. استقل أمرهم ببجاية، ورتب من الموحدين من يقوم بحماية البلاد والدفاع عليها.¹ وولى عليها السيد محمد عبد الله ابنه، ووجه معه السيد أبا سعيد يخلف والكاتب أبا بكر بن حسين.² ويصفها البكري بقوله "مرسى مدينة بجاية أزلية، أهلها عامرة بأهل الأندلس".³

وكما يقول الحميري "إن بجاية قاعدة المغرب الأوسط، مدينة عظيمة على ضفة البحر. يضرب سورها وهي على حرف حجر. ولها من الشمال جبل يسمى امسيور".⁴

ويصفها ياقوت الحموي بقوله: "مدينة ساحلية بين أفريقية والمغرب. وكان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين في حدود عام (457هـ/1064م). بينها وبين جزائر بني مزغنة أربعة أيام. كانت قديما ميناء فقط، ثم بنيت مدينة".⁵

وازدهرت الحياة العلمية في بجاية، وهي أول حاضرة تطل على البحر، ومركز إشعاع فكري في المغرب الأوسط. وازدهرت بها العلوم، وكثر فيها العلماء. حيث يقول الحسن

¹ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص146

² ابن أبي زرع الفاسي: الانيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تر[كارل يوحنا تورينغ]، دار الطباعة المدرسية، أويسالة، 1843، ص135

³ ص88.

⁴ -امسيور: هو جبل سام صعب المرتقى وفي أكنافه جمل من النبات المنتفع به في صناعة الطب مثل البرباريس، انظر الحميري: روض المعطار، ص ص 80-81.

⁵ -معجم البلدان: دار صادر، بيروت، 1977، مج1، ص339.

الوزان:"وفي بجاية جوامع ومدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم، بالإضافة إلى زوايا المتصوفة وحمامات وفنادق، ومرستانات"¹

قلعة بني حماد:

يروى ابن الأثير أنه بعد فتح بجاية، سار الجيش الموحي بقيادة عبد المؤمن بن علي إلى قلعة بني حماد وسيطر عليها،² وعين ابنه عبد الله واليا عليها.³ ويقول ابن خلدون فيما يخص الفتح " أنها فتحت عنوة"، وأن جيش عبد المؤمن كان تحت قيادة ابنه عبد الله، ففتح القلعة وأضرم النار في مساكنها"⁴.

ويصفها صاحب الاستبصار في كتابه باسم " مدينة قلعة أبي طويل، هي قلعة حماد. وهي مدينة عظيمة قديمة أزلية على نظر عظيم، كثير الزرع وجميع الخيرات، وهي في جبل عظيم. وهي حصينة منيعة لا تمكن بقتال. وكانت مملكة لبني حماد من صنهاجة".⁵ ويدعم قوله البكري بكونها قلعة منيعة ذات حصانة.⁶

ويقول الحميري "وهي قلعة أبي طويل كما وردت في كتاب الاستبصار، وبينها وبين المسيلة اثنا عشر ميلا. وهي من أكبر البلاد قطرا، وأكثرها خلقا، وأغزرها خيرا، وأوسعها أموالا. وهي في سفح جبل سام صعب المرتقى..... وبين القلعة وبين بجاية مسيرة أربعة أيام".⁷

¹ -وصف أفريقيا،تر[محمد حجي ومحمد الأخضر]،دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط2،1983،ج2،ص50.

² - الكامل في التاريخ، تح[محمد يوسف الدقاق]، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط4، 2003، ج9، ص372.

³ - صالح بن قرية: عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991، ص40.

⁴ - ج7، ص326. انظر:حساني مختار،تاريخ الجزائر الوسيط، دار الهدى،الجزائر، 2013، ج1، ص174.

⁵ -مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص167.

⁶ - ص49.

⁷ - ص469.

ورغم احتلال ابن غانية لقلعة بني حماد، لكن سرعان ما استرجعها الخليفة المنصور سنة (580هـ/1184م)¹. حيث أضحت القلعة كثيرة الاهتمام بالعلم كسابقاتها من الحواضر بالمغرب الأوسط. وهي تزخر بالكثير من الفقهاء والأدباء والعلماء. ونشطت حركة التفسير، ومن بين القراء: محمد بن علي بن أبي بكر بن عيسى بن حماد الصنهاجي القلعي، حيث تعلم القرآن عند القاسم بن النعمان بن الناصر بن علناس ابن حماد الصنهاجي؛ وكان معلم كتاب الله عز وجل. ويوجد منهم ابن عبد الملك بن القطان وابن عثمان التميمي القلعي.² وهذا دليل على نشاط الحركة العلمية في قلعة بني حماد في عهد الموحدين.

قسنطينة:

بعد الانتهاء من فتح قلعة بني حماد، اتجه عبد المؤمن مع جيش الموحدين إلى قسنطينة وهزم خصمه هزيمة شنيعة. وبعد المفاوضات، فتحت قسنطينة أبوابها للجيش الموحد،³ وحاصرها عبد المؤمن وضيق عليها الخناق، فاستسلم يحيى بن عبد العزيز، آخر ملوك بني حماد، ونزل عن عرشه للخليفة عبد المؤمن سنة (547هـ/1152م).⁴

ومدينة قسنطينة مدينة شاسعة المساحة، وهذا استنباط من قول أبي سعيد المغربي: "في شرق بجاية القل، وهي فرضة مشهورة في ساحل قسنطينة الهوى وبينهما أربعون ميلا، وموضع قسنطينة في جنوبها...".⁵

¹ - ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص326.

² - عبد الملك المراكشي: السفر الثامن من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح[محمد بن شريفة]، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، د م، القسم الأول، 1984، صص 323-324.

³ - حساني مختار: المرجع السابق، ج1، ص175.

⁴ - عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج2، ص299.

⁵ - كتاب الجغرافيا، تح [إسماعيل العربي]، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ص142.

ويصفها أبو الفداء حيث يقول: أن قسنطينة يحيط بها الواد من جميع جهاتها، وبينها وبين مسيلة ثمانية عشر ميلاً¹. ويضيف العبدري: "هي مدينة عجيبة حصينة، غير أنها كطوب الزمان مستكنة"².

وقد ازدهرت في قسنطينة الحركة الفكرية، خاصة في القرن السادس الهجري، فكثر بها المؤسسات والعلماء والفقهاء. ويؤكد هذا روبرار برنشفيك أن قسنطينة تشتمل على مدرستين وثلاثة أرباع زوايا، وكانت حافلة بالمعالم الدينية.³ ويبرز مكانة قسنطينة كحاضرة ثقافية لهاوزنها ببروز بعض العلماء الذين أنجبته خلال العهد الموحيدي، منهم: المحدث أحمد بن خلف بن يعيش الأزدي، وأبو العباس القسنطيني.⁴

جزائر بني مزغنة :

وبعد أن استكمل عبد المؤمن فتح مدينة قسنطينة، توجه إلى مدينة الجزائر وكان قائدها آنذاك ابن عبد العزيز، فتم له القضاء على عاملها أو أميرها، وعين ابن عبد الله عليها سنة (548هـ/1153م)، ورتب من الموحدين من يقوم بالدفاع عنها.⁵

وأما من الناحية الجغرافية، فهي مدينة جبلية قديمة البنيان، فيها آثار الأولى. وهذا كله يدل على مدى ما بلغته مدينة الجزائر من التطور والنمو العمراني. وبنو مزغنة كنيه عظيمة، بقي منها جدار محيط من الشرق إلى الغرب، وهو اليوم القبلة الشرقية.⁶

¹ - ص 138.

² - الرحلة المغربية. تح [سعد بوفلاقة]، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007، ص 58.

³ - روبرار برنشفيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، تر [حمادي الساحلي]، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ج 1، ص 422.

⁴ - علي عشي: المرجع السابق، ص 89.

⁵ - السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1999، ص 707.

⁶ - صالح بن قربة وآخرون: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007، ص 256.

ويضيف ياقوت الحموي أنها: جمع جزيرة. اسم علم لمدينة على ضفة البحر بين إفريقية والمغرب، وبينها وبين بجاية أربعة أيام. كانت من بلاد بني حماد بن زيري بن مناد الصنهاجي. وتعرف بجزائر بني مزغنة¹. ويقول الحميري: من أشير إلى جزائر بني مزغنة، وبين مدينة شرشال والجزائر سبعون ميلاً.² وبفضل موقعها الجغرافي الهام، كانت لها مكانة مرموقة تحت مؤشرات الحضارة من أسواق ومساجد وذات شهرة.

عرفت مدينة الجزائر تطوراً في المجال الفكري خلال الفترة الموحدية، تجلّى بصفة خاصة في العلوم الدينية، ومن أهم عوامل التطور ظهور دعوة المهدي بن تومرت ونشأة الدولة الموحدية.³ ويقول عنها العبدري: فلم يبق بها من أهل العلم محسوب، ولا شخص إلى فن من فنون المعارف منسوب. وهذا قد تجلّى في آخر عهد الدولة الموحدية وبداية ضعفها.⁴ وهذا لا ينفي بروز علماء خلال العهد الموحي مثل: الأديب النحوي عبد الواحد بن محمد بن حبيب أبي محمد اللخمي الجزائري.⁵

وهـران⁶:

مدينة وهران من الناحية الجغرافية مدينة قديمة، بناها السكان الأصليون على الساحل. تفصلها مسافة فرسخ واحد عن المرسى الكبير حيث الغرب.⁷

¹ - ج 2، ص 132.

² - ص 163.

³ - عبد الحميد حاجيات: دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ج 1، ص 169.

⁴ - ص 91.

⁵ - علي عشي: المرجع السابق، ص 91.

⁶ - تقع على اثنتي عشرة درجة وثلاثين دقيقة في خطوط الطول وعلى أربع وثلاثين درجة من خطوط العرض، وعلى بعد عشرين فرسخاً من تلمسان. انظر: كتاب إفريقيا، ج 2، لمرمول كريخال، ص 329.

⁷ - مرمول كريخال: نفسه، ج 2، ص 329.

ويضيف ابن حوقل: لمدينة وهران مرسى في غاية السلامة والصون من كل ريح، وما أظن لهمثيلا في جميع نواحي البربر. وقد استقر بها المرابطون وبنو حصن بمقرية من وهران، فحصنه واتخذة ملجأ. وقد حاصره الموحدون وتمكنوا من هزيمته، وأصبحت وهران إحدى مدن الموحيدين.¹ ويصفها ياقوت الحموي بقوله: البر الأعظم من المغرب بينها وبين تلمسان سوى ليلة. وهي مدينة صغيرة على ضفة البحر، ومنها إلى تنس ثمانى مراحل. وبنى وهران محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين.²

وقد ذكر لنا صاحب كتاب إفريقيا أن بمدينة وهران مساجد ومدارس ومستشفيات ومحلات لنزول الدور المعتبرة؛ وهذا يدل على أن حاضرة وهران كانت ضمن أهم الحواضر في المغرب الأوسط. ويدل كذلك على ازدهار وتنوع الثقافات والشعوب بها.³ وكثر فيها العلماء والأدباء، ومن بينهم: أبو تميم بن الفلون ومحمد بن عبد الرحمان الوهراني.⁴

بونة⁵:

وعند تأسيس دولة الموحيدين، توسعت على حساب أملاك الحماديين؛ فكان على بونة الحارث بن عبد العزيز، فاتصل بوالي صقلية طالبا مساعدته، إلا أن جيوش الموحيدين وصلت المدينة قبل الجيش النورماني.⁶ وأصبحت بونة تابعة للموحيدين سنة 555 هـ على يد عبد المؤمن بن علي.⁷ وبعد حصار شديد، استطاع امتلاكها.⁸

¹ - صورة الأرض ، منشورات دار المكتبة الحياة ، بيروت، 1992، ص79.

² - ج5، ص385.

³ - مرمول كريخال:المصدر السابق، ج2، ص329.

⁴ - رشيد بورويبة: وهران فن وثقافة، وزارة الإعلام الجزائر، 1983، ص46.

⁵ بونة: بالضم ثم السكون ومدينة إفريقية بين مرسى الجبرر وجزيرة بني مزغنة ، انظر، ياقوت الحموي:المصدر السابق، ج1، ص512.

⁶ مختار حساني: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، مدن الشرق، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ج3، ص07.

⁷ مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص154.

⁸ ابن خلدون:المصدر السابق، ج6، ص333.

وبونة من الناحية الجغرافية عند ابن حوقل: مدينة مقتدرة ليست بالكبيرة وليست بالصغيرة. مقطارها في رقعتها كالأريس وهي على نحل البحر.¹ ويقول صاحب الاستبصار: مدينة بونة مدينة قديمة من البناء الأول، وفيها آثار كثيرة وهي على ربة مشرفة.² ويقول فيها الوزان: بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط على بعد نحو 120 ميلا غربا. وكانت تسمى أربونة.³

وقد كانت مدينة بونة على قدر معتبر من العلم. وقد وجد في هذه الفترة بعض العلماء والفقهاء من بينهم: أبو عبد الملك مروان بن محمد الأسدي البوني، فقيه مالكي من أعيان وأصحاب أبي الحسن الفاسي.⁴

ورجلان⁵:

كانت ورجلان تحت حكم الرستميين في أوائل الفتح. وكانت علاقتها بحواضر المغرب الإسلامي علاقات تجارية.⁶ وبسيطرة الموحيدين على حواضر المغرب الأوسط، كانت ورجلان تحت حكم الحماديين و الزيريين، ثم استطاع الموحدون ضم ورجلان إلى حكمهم، وذلك بفضل تجارتهم مع السودان. وقد أعلن الورجلانيون ولاءهم إلى الموحيدين.

¹ - ص 77.

² - ص 127.

³ - ج 2، ص 61.

⁴ - ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 1، ص 512.

⁵ - اختلف الإفريقيون في تحديد اسم ورجلان - وركلان - ورجلن - وارقلان. انظر، حساني مختار: موسوعة وتاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ج 3، ص 178. وورجلان بفتح أوله وسكون وفتح الجيم وآخره نون. انظر: معجم البلدان ج 5، ص 71.

⁶ - حساني مختار: المرجع السابق، ج 3، ص 179.

ويقول ابن خلدون: "وبنو واركلا هؤلاء إحدى بطون زناتة كما تقدم من ولد فرني بن جانا. وقد مر ذكرهم. وأن إخوتهم: الديرت ومرنجيسة وسبرترة ونمالة. وكانت مواطنهم قبلة الزاب.¹

ويصف الحميري ورجلان قائلاً: هي في طرف الصحراء مما يلي إفريقية، وهو بلد خصيب كثير النخل والبساتين، وفيه سبع مدائن مسورة وحصينة.² ويضيف ياقوت الحموي: هي كورة بين إفريقية وبلاد الجريد³ ضاربة في البر ومجانة.⁴ واعتبرت ورجلان من أهم المراكز الثقافية خلال العصور الوسطى. ولم يتوقف النشاط الثقافي في ورجلان على القرنين الخامس والسادس، بل استمر في العصور الموالية.⁵

وهكذا استطاع الموحدون ضم كل هذه الحواضر إلى مملكتهم وتوحيد المغرب تحت كنفهم، فأصبحت هذه الحواضر تابعة لهم من الناحية الجغرافية والإدارية والسياسية وحتى التاريخية. وفي نهاية عهد الدولة الموحدية، دخلت اضطرابات سياسية، وتنازع على الحكم في كل مدينة من مدن المغرب الأوسط.

وقد خرجت الجزائر-المغرب الأوسط- من حكم الموحدين إلى الحفصيين وبني عبد الواد، فكانت ولايتهم بها نحو 80 عاماً.⁶

¹ - ج7، ص69. الزاب: هي منطقة سهلية واقعة بين جبال أولاد نايل غرباً وجبال الأوراس شرقاً وأشهر مدنها بسكرة وطولقة. انظر، التنسي: المصدر السابق، ص285.

² - ص600.

³ بلاد الجريد: وهي منطقة صحراوية في أقصى جنوب القطر التونسي الحالي. انظر، التنسي: المصدر السابق، ص285.

⁴ - ج5، ص375.

⁵ - حساني مختار: المرجع السابق، ج3، صص 192-196.

⁶ - مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق[محمد الميلي]، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2.

ص316.

وبدأت بوادر الانشقاق والانفصال في عروش الموحدين باستقلال بني حفص في إفريقية. ثم في حدود سنة 627هـ/1229م، كانت بدايات استقلال بني عبد الواد بالحكم في تلمسان، وظهرت نتيجة ذلك الدولة الزيانية على يد يغمراسن¹ عام 633هـ/1235م. (انظر ملحق رقم 02).

وقد كانت حدودها غير مضبوطة بسبب وجود قوتين تتنازعان في منطقة بني زيان بين الحفصيين والمرينيين، فكانت المنطقة الغربية تارة تابعة للحفصيين وتارة للمرينيين². وقد احتل يغمراسن وهران عام 626هـ/1228م، وأصبحت ضمن ممتلكاته³. وصارت حدودها تمتد من مملكة الجزائر الزيانية غربا، إلى مدينة تاوريرت⁴. وتمتد من حصن تاوريرت غربا، إلى تخوم بجاية شرقا. كما كانت تتقلص حدودها أحيانا أخرى، فتشمل الحاضرة وضواحيها⁵.

وبالرغم من كل هذه الاضطرابات السياسية الجغرافية التي شهدتها تلمسان، إلا أن مكانتها العلمية والحضارية والثقافية كانت بارزة بشكل كبير، سواء بالعناية بالعلم من طرف الحكام، أو بوجود مراكز نشطة للحركة العلمية. وسيظهر ذلك التطور جليا فيما سيعرض في الموضوع.

¹ - يغمراسن بن زيان: هو بن ثابت بن محمد العبد الوادي أمير المسلمين أبو يحيى. أول من استقل بتلمسان من سلاطين بني عبد الواد. وبويع بعد مقتل أخيه زيان بن زيان سنة 633هـ جري . انظر ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، بتح [هاني سلامة]، د ن ، د م ، د ت، ص 59.

² - محمد العربي حرز الله : تلمسان مهد حضارة وواحة ثقافة، دار السبيل، تلمسان، 2011، ص 153. 154.

³ - رشيد بوروبية: المرجع السابق، ص 38

⁴ - محمد العربي حرز الله: المرجع السابق، ص 159.

⁵ - حسن مؤنس: أطلس التاريخ الإسلامي، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة. 1987، ص 183.

الفصل الأول:

عوامل ازدهار المراكز التعليمية في المغرب
الأوسط من بداية عهد الموحدين إلى نهاية
الزيانيين.

أولاً: عوامل ازدهار المراكز التعليمية في المغرب
الأوسط من بداية عهد الموحدين إلى نهاية
الزيانيين

ثانياً: المراكز التعليمية في المغرب
الأوسط في عهد الموحدين والزيانيين

الفصل الأول: عوامل ازدهار المراكز التعليمية في المغرب الأوسط من بداية الموحدين إلى نهاية الزيانيين

شهدت الفترة الممتدة من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجري نهضة علمية في شتى الميادين والمجالات. وكان النبوغ الفكري والتقدم الحضاري في أوجه. ونجد ظهورا لتحرير العقل من القيود والبدع في كل مجالات الحياة. ولعل أهم مميزات هذا العصر، وهذه الفترة من الاستقرار، هو تحرير العقل. وكان المغرب الأوسط مزدهرا علميا وثقافيا وفكريا خلال هذه الفترة. ومما لاشك فيه هو اهتمام الحواضر الكبرى بتوفير كل متطلبات العلم. وكان للخلفاء الموحدين اهتمام كبير بالعلم وتشجيع مراكزه، وكذلك بنو زيان من بعدهم. وازدهرت العلوم والمراكز التعليمية أكثر في هذا العصر بحكم أن عاصمة بني زيان تلمسان في المغرب الأوسط. كما كان الموحدون من قبلهم أشد اهتماما بالعاصمة وضواحيها لأنها هي قلب الدولة. ومن أهم العوامل التي ساعدت على ازدهار ونمو هذه المراكز نجد:

المبحث الأول: عوامل ازدهار المراكز التعليمية في المغرب الأوسط في عهد الموحدين والزيانيين

المطلب الأول: الاستقرار السياسي في عهد الموحدين

بعد أن استطاعت الدولة الموحدية توحيد كافة بلاد المغرب وضم المغرب الأوسط تحت سلطتها استقرت الأوضاع السياسية باعتبارها هي أول دولة توحد بلاد المغرب أو الغرب الإسلامي بمجمله. وشهدت المغرب في ظل الدولة الموحدية نهضة علمية وفكرية نظرا للأساس الديني الذي قامت عليه الدولة، واستقرار أوضاع البلاد.¹

¹ - ليلي أحمد النجار: المغرب الأندلس في عهد المنصور الموحدي، دراسة تاريخية وحضارية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة أم القرى، ص 47.

وفي هذا المناخ السياسي السائد، نمت الحركة الفكرية وترعرعت فروعها. وفي ظل هذا النمو، هيأ المناخ العلمي الذي ساعد الطلبة على التعلم.¹ وكان فضل الموحدين عظيماً، إذ ساهموا في تشجيع العلماء.² وساعد الاستقرار والطمأنينة على انتعاش وتطور الحركة العلمية.³

كما كان للأوضاع الاقتصادية دورها الإيجابي والفعال في استقرار أوضاع البلاد.⁴ لاسيما خلال عهد كل من عبد المؤمن بن علي وحفيده المنصور الذي شهد استقراراً مكنه من الوصول إلى ذروة الرقي وسمام المجد.⁵

المطلب الثاني: دور السلاطين الموحدين والزيانيين في تشجيع العلم

لقد كان الحكام والسلاطين الموحدون شديدي الاهتمام بالعلم، وذلك أن الدولة الموحدية قامت على أساس ديني بقيادة المهدي بن تومرت. وقد عمل السلاطين والحكام من بعده على نشر وترسيخ عقيدته. وكانوا يشجعون الحركة الفكرية، حيث أن العصر الموحدي كان يمثل الذروة في النشاط الفكري. وقد ظهر ذلك من خلال إنشائهم للعديد من المراكز التعليمية في كافة ربوع بلاد المغرب. ونجح الموحدون في تشجيع الحركة الفكرية، وظهر ذلك من خلال بذلهم أقصى المجهودات لجمع الكتب، مما يظهر لنا بكل جلاء مدى تقديرهم للعلم.⁶

¹ - حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الغنائجي، القاهرة، 1980، ص 493.

² - محمد المنوني: حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1989، ص 15.

³ - ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، تح [عبد الهادي التازي]، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ط 3، ص 50.

⁴ - حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 444.

⁵ - محمد المنوني: العلوم والآداب و الفنون على عهد الموحدين، دار المغرب، الرباط، 1977، ط 2، ص 21.

⁶ - إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000، ج 1، ص 349-350.

وكان التشجيع جليا من خلال تمويلهم المادي والأدبي، فأسسوا عدة مراكز تعليمية من بينها المدارس والمعاهد. وفرضوا التعليم الإلزامي في كافة أقطار المغرب. ودليل ذلك قول السرخسي في رحلته: "هؤلاء أبناء عبد المؤمن كلهم فقهاء و علماء".¹

ولقد واصل بنو زيان من بعد الموحدين انشغالهم بالعلم ومؤسساته. وبدأ اهتمامهم منذ استقرارهم في المغرب الأوسط على نشر العلم والثقافة. وكان عهدهم الذي دام أكثر من ثلاثة قرون من أعظم عصور تاريخ المغرب الأوسط، فازدهرت الحياة الثقافية.² واهتم بنو زيان برعاية وتشجيع العلم والعلماء، وكانوا يقدمونهم في الدولة ويجودون عليهم بالعطاء. وكان يغمراسن يجالس العلماء، ويبحث عنهم حيثما كانوا، ويستقدمهم إلى البلدة.³

وكان سلاطين بني زيان يشرفون على المجالس والمنابر التي تلقى فيها الدروس العلمية، مثلهم مثل أسلافهم الموحدين الذين تميزوا بالجهاد والعمل الفكري في المسائل المتعلقة بالمعتقدات.⁴ حيث أن سلاطين بني زيان كانوا على دراية بأهمية العلم، وأن المكانة العلمية التي تتمتع بها تلمسان، ترجع إلى النزعة الثقافية لبعض هؤلاء السلاطين.⁵ الذين قاموا بتشجيع عدة مراكز تعليمية بغية نشر العلم. وما ميز عهد الزيانيين، هو إنشاء المدارس الخمس بتلمسان، وكان ذلك نتاج ثقافة السلاطين، لاسيما في عهد موسى الأول الذي انصب اهتمامه على العناية بالأدب والدين.⁶

¹ - محمد المنوني: حضارة الموحدين، ص 14.

² - عبدلي لخضر: تاريخ مملكة تلمسان في عهد بن زيان، دار الأوطان، د م، 2011، ص 252.

³ - نفسه، ص 456.

⁴ - عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ج 1، ص 320.

⁵ - عبد الجليل قريان: التعليم بتلمسان في العهد الزياني، جسور للنشر والتوزيع، تلمسان، 2011، ص 71-72.

⁶ - مسعود بن ساري: جماليات المكان وحضارة تلمسان، 2011، ص 73؛ محمد بن عمرو الطمار: تلمسان عبر العصور،

المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 94.

المطلب الثالث : دور الأندلسيين في ازدهار الحياة العلمية

تعود العلاقة الوثيقة التي ربطت المغرب بالأندلس إلى عهد يوسف بن تاشفين الذي تمكن من جعل الأندلس إقليماً تابعاً للمغرب الأقصى. واطلع أمراء المرابطين وقيادتهم على الحركة الفكرية المزدهرة في مختلف المدن الأندلسية، مما دفعهم إلى الاستفادة منها في المغرب.¹ وكان ولاية وأمراء الموحدين يرحبون بالعلماء. وقد ازدادت هجرة الكثير منهم إلى المغرب، وهذا ما ساعدهم على نشر العلوم، فظهر الازدهار والتقدم.²

كما تجلّى هذا الدور في مساهمة الأندلسيين في جلب العديد من رجالاتهم البارعين في مختلف المعارف إلى بلاد المغرب. وعرف عصر الموحدين بعصر العلم والمعرفة.³ وتوالت الهجرات الأندلسية على بلاد المغرب الإسلامي، فاحتضن ملوك بني زيان الوفود العديدة من الجاليات الأندلسية بأجناسها المختلفة، وكان ذلك بسبب حروب الاسترداد التي تسببت في طرد العديد من المسلمين الأندلسيين من أراضيهم.⁴

وهكذا جاءت وفود كبرى خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين عقب سقوط غرناطة (897هـ/1491م)، فتدفقت أعداد كبيرة من الأندلسيين نحو بلاد المغرب عامة، والمغرب الأوسط بصفة خاصة، هروبا من الاضطهاد الصليبي.⁵

وحظيت الطبقة المثقفة بمكانة مرموقة بتقدمهم مناصب مهمة داخل تلمسان، مثل المناصب التي يطلق عليها أرباب القلم. ومن جملة من تبوأ هذا المنصب: العالم أبو بكر محمد بن عبد

¹ -حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 445-446.

² - عبد الحميد حاجيات: أزهار النيسان في ذكر محاسن تلمسان مدينة العلماء والأولياء، [حميدي خميسي]، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، الجزائر، 2011، ج 9، ص 18.

³ - الحسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986، ص 206.

⁴ - محمد رزوق: دراسات في تاريخ المغرب، إفريقيا الشمالية، الدار البيضاء، 1991، ص 26-27.

⁵ - بوشقيف محمد: تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (15/14 م)، أطروحة مقدمة لنيل الدكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2011، ص 30.

الله بن داود بن خطاب الغافقي الذي كان كاتباً وشاعراً وفقيهاً وعمل في الكتابة في عهد السلطان يغمراسن.¹

ولقد بلغ التعليم في العهد الزياني شوطاً كبيراً بسبب العلاقة الوطيدة التي كانت تجمع بين سلاطين الدولة والملوك الأندلسيين، وبذلك تأثر نظام تعليمهم بالنمط الأندلسي.² ولقد استفادت الحياة العلمية في تلمسان من هجرة علماء الأندلسيين إليها أثناء المد الإسباني نحو المدن الأندلسية وقد قاموا بتنظيم حلقات العلم والدروس داخل تلمسان ومدارس المدينة المشهورة مثل المسجد الجامع الذي أصبح يوازي جامع الزيتونة والقيروان وقد ظهرت في تلمسان عائلات بأنها عائلات أندلسية توارثت العلم عن بعضها البعض فترة طويلة مثل العقباني والتي ظهرت منها أبو عثمان سعيد العقباني الذي اشتهر بالإقراء وكذلك عائلة مرزوق والتي اهتمت بخدمة ضريح الولي أبو مدين في العباد وأثناء ذلك اهتم بالعلم فبرز منها مجموعة من الأشخاص منهم أبو عبد الله محمد مرزوق³

المبحث الثاني: المراكز التعليمية في المغرب الأوسط في عهد الموحدين والزيانيين

لقد أولى المغرب عناية خاصة بالعلم والتعليم منذ دخل الدين الإسلامي إلى المنطقة أيام الفتح، فعرفت المنطقة حركة علمية من خلال تعدد المراكز التي اعتمدت نشر العلم والتعليم في شتى ربوع المغرب الإسلامي، واستهل المغرب الأوسط بفتح مراكزه التعليمية في عهد الموحدين والزيانيين. واهتمت الدولة الموحدية والسلاطين اهتماماً فائقاً بالعلم من خلال تشييدهم للمراكز التعليمية. وأنشأ عبد المؤمن بن علي عدة مراكز تعليمية، خاصة في العاصمة مراكش. أما في المغرب الأوسط، فقد انتشرت مراكز التعليم في الحواضر الكبرى مثل: تلمسان وبجاية ووهران وقسنطينة... الخ. واستمد الموحدون نمط طرازهم المعماري في تشييد المراكز

¹ - بسام كامل عبد الرزاق شقدان: المرجع السابق، ص 210.

² - محمد العربي حرز الله: المرجع السابق، ص 210.

³ بسام كامل عبد الرزاق شقدان: المرجع السابق، ص 229-230.

التعليمية من المشرق بعد الفتح الإسلامي، غير أنهم سرعان ما اندمج نمط فكرهم وطرز بنائهم مع فن العمارة الأندلسية، وصار يطلق على العمارة الجديدة بالنمط المغربي الأندلسي.¹

لقد اتبع عبد المؤمن بن علي سياسة الخليفة المهدي بن تومرت بحكم أنه معلمه. وبذلك اهتم بالعلم والعلماء؛ فازدهرت الحياة العلمية في عهد ابن يوسف ويعقوب حفيده. وتفتحت الأفكار وتطورت العقول، وبلغ الشعب المغربي درجة عالية من الثقافة العلمية.² وبدأ تأسيسهم للمراكز التعليمية ومعاهد التعليم بمراكش، ثم انتشرت في باقي بلاد المغرب. ولعل أهم ما نلاحظه، هو أن التعليم كان في كامل المراكز التعليمية موحداً، وذلك يعود لتوحيد البلاد تحت رايته من كل النواحي.

وينتمي عبد المؤمن إلى قبيلة كومة بمدينة ندرومة من أحواز تلمسان. وقد اهتم بنشر العلم، حيث كان على العلم حريصاً. كما اجتهد اجتهداً كبيراً في نشر عقيدة ابن تومرت، وأولى عناية خاصة بالعلم والفقهاء، ويستدعيهم إلى مجالسه. وكان يظهر التنويه والتعظيم لهم، ويعقد ندوات علمية أسبوعية في قصره.³ وتعددت المراكز التعليمية في العهد الموحيدي (6-7هـ)، فكان أولها الكتاتيب والمساجد التي تعتبر النواة الأولى للتعليم، ثم تلتها الزوايا والرباطات. وتأخر ظهور المدارس في المغرب الأوسط في عهد الموحدين بسبب اهتمامهم وإنشائهم للمدارس في العاصمة مراكش وفاس وقرطبة.⁴

¹ - يوسف اشباح: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، [تر: محمد عبد الله عنان]، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011، ج2، ص254.

² - عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، د. د. ن. د. م. د. ت. ط2، ج1، ص114.

³ - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 144.

⁴ - الحسن السائح: المرجع السابق، ص207.

المبحث الثاني : المراكز التعليمية في المغرب الأوسط من بداية الموحدين إلى نهاية الزيانيين

المطلب الأول: المساجد

كانت المساجد قائمة بدورها التعليمي منذ البدايات الأولى للإسلام. ووردت النصوص عن الرسول صلى الله عليه وسلم تؤكد ذلك منها قوله صلى الله عليه وسلم: "من جاء مسجدي هذا، لم يأت به إلا خير يتعلمه أو يعلمه، فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله".¹ وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من بنى مسجدا ولو كمفحص قطاة لبيضا بنى الله له بيتا في الجنة"² رواه أحمد. وورد في القرآن الكريم قوله تعالى: "فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ".³

لقد ارتبط التعليم خلال الفترات الإسلامية الأولى ارتباطا وثيقا بالمسجد، حيث كان الصحابة يعقدون فيه حلقات العلم والذكر. ويتناولون فيه مختلف القضايا العلمية المتعلقة بكتاب الله تعالى بالدراسة والتمحيص. وظل المسجد يمارس دوره التعليمي عبر العصور، حتى صار ارتباطه بالتعليم كارتباطه بالصلاة.⁴ ويعتبر المسجد هو الركيزة الأولى لنشر العلم، وهو المدرسة الأولى التي كانت تنتشر التعليم. وفي المغرب الأوسط في عصر الموحدين كانت المساجد يكتنفها الغموض، وذلك باهتمام السلاطين بالعاصمة وحواضرها في كل من المغرب الأقصى ومراكش والأندلس.

¹ - عبد الجليل قريان: المرجع السابق، ص 144.

² - الحنبلي: تحفة الراعي والساجد بأحكام المساجد، [صالح سالم النهام]، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د م، 2004، ص 40.

³ - سورة النور، الآية: 36.

⁴ - عبد الجليل قريان: المرجع السابق، ص 144.

إن اهتمام العلماء بالعلم في المغرب الأوسط، ساعد في تطور وظيفة المساجد، كما يذكر المقري عن مكانة العلماء في الأندلس التي تنطبق على المغرب الأوسط، حيث كانوا يقرؤون جميع العلوم في المساجد.¹

وما يدل على وجود المساجد في المغرب الأوسط، يذكر لنا البيهقي أن المهدي بن تومرت أقبل على بناء المساجد في العديد من المناطق. وعند حلوله ببجاية قصد مسجد الريحانة، ثم حل بتتمل في مسجده للتدريس، ومنه انطلقت الدعوة الموحدية.²

ويذكر لنا الغبريني عدة مساجد أخرى، منها: مسجد الفقيه أبي زكريا يحيى الزواوي (ت. 611هـ/1214م). وكان هذا المسجد مقصدا للعلم خلال الفترة الموحدية، حيث زاره العديد من العلماء....³ وقام الموحدون ببناء عدة مساجد في حاضرة المغرب الأوسط. كما كانت هناك مساجد كبرى في كل من بجاية وتلمسان و قسنطينة وجزائر بني مزغنة. وقد أمر عبد المؤمن ببناء المساجد في تاجرا بتلمسان وجميع المناطق التي دخلت تحت طاعته. لذلك قام الموحدون ببناء عدة مساجد، وتشيد وتجديد القديم منها. ولعل الجامع الكبير من هذه المساجد في ندرومة، ومسجد حزب الموحدين، ومسجد حومة اللؤلؤة المعروف بالمسجد المرجاني، حيث كان مقصدا لأهل العلم.⁴

واستمرت وظيفة المساجد حتى في عهد الزيانيين في المغرب الأوسط، حيث اهتم السلاطين الزيانيون بتشيد دور العبادة، خاصة في حاضرة تلمسان التي ظهرت فيها عدة مساجد أبرزها:

¹- أحمد المقري تلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، بتح [إحسان عباس]، دار صادر، بيروت، د.ت، ج1، ص 220-221.

²- البيهقي: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين دار منصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص13.

³- الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، بتح [عادل نويهض]، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979، ط2، ص127.

⁴- رويار برنشفيك: المرجع السابق، ج1، ص414.

الجامع الأعظم

شيد في تآكرارت في عهد المرابطين من قبل يوسف بن تاشفين عام (473هـ/1080م)، وأعاد بناءه ابن يوسف سنة 530هـ. ويمكن اعتبار هذا المسجد جامعة على طريقة المتقدمين، يماثل جامع القرويين بفاس، وجامع الزيتونة بتونس، والأزهر بالقاهرة. وفي عهد السلطان يغمراسن، أضيف إليه مئذنة بتآكرارت، وأضيف له في الجزء الشمالي بيت الصلاة، والقبة والصحن. وكان طراز البناء متأثراً بالعمارة الأندلسية وزخارفها.¹

المسجد الجامع بأكادير

يعود تاريخ تأسيسه إلى ما قبل استيلاء الأدارسة على مدينة تلمسان بقيادة إدريس الأكبر عام (174هـ/790م). وقد أعيد بناؤه وترميمه أكثر من مرة. وتم ذلك في عهد كل من إدريس الأول وإدريس الثاني. كما قام يغمراسن بترميمه و بناء مئذنة. ولا تزال بعض آثاره قائمة في مدينة تلمسان.²

مسجد سيدي أبي الحسن³:

أسس مسجد سيدي أبي الحسن سنة (696هـ/1296م)، كما أشارت إلى ذلك كتابات بالمسجد هي كما يلي: بسم الله الرحمان الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.⁴ بناه السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن، وكان يعرف باسم الأمير أبي عامر إبراهيم بن

¹ - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص146.

² - صابرة الخطيب: فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، جسر تلمسان، د م، 2011، ص142.

³ - سيدي أبو الحسن: هو أبو الحسن سيدي علي بن عبد الله الجبار ينسب نسبة إلى سيدي عمر مولاي إدريس، انظر، عبد القادر التليدي: المطرب بمشاهير ألياء المغرب، دار الامان، الرباط، 2003، ط4، ص122.

⁴ - عزي بوخالفة: تلمسان منارة الإشعاع الفكري والحضاري وزارة الثقافة بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية، 2011، ص171.

السلطان بن يحيى بن يغمراسن.¹ غير أن المسجد لم يحمل اسم المؤسس، بل عرف باسم أبي الحسن بن يخلف التتسي "سيدي بالحسن"، وهو من أشهر مساجد تلمسان. ثم حول إلى مدرسة من أجل الوظيفة التعبدية التعليمية، وهي الغرض الأساسي الذي أنشئ من أجله المسجد.²

مسجد أولاد الإمام:

وينسب إلى الإمام. وهو يقع في الناحية الغربية من مدينة تلمسان، أنشأه السلطان الزياني أبو حمو الأول (707هـ-718هـ/1307-1318م). يتركز موقعه وسط المدينة، ويمتاز ببنائه وخلوه من الزخرفة. وبني خصيصا للعالمين الكبيرين: اليزيد عبد الرحمان و أبي موسى؛ وكان تابعا للمدرسة التي بناها أبو حمو الأول.³

مسجد إبراهيم المصمودي:

قام بتأسيسه أبو حمو موسى الثاني سنة (765هـ/1363م) إلى جانب المدرسة اليعقوبية. وسمي بمسجد إبراهيم لأنه كان رجلا مشهورا بالصلاح والعلم.⁴

¹- تلمسان لمحات من عاصمة بني زيان، ص13.

²- عزي بوخالفة: المرجع السابق، ص ص171-172.

³- أبو حمو موسى الاول: هو السلطان ابو حمو ابن ابي سعيد عثمان يغمراسن بن زيان سنة 665هـ-1266م، انظر، عبد القادر بوطبل: تاريخ مدينة حمو موسى في الماضي والحاضر، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص27.

⁴- عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني حياته و آثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ط2، ص172.

مسجد سيدي الحلوي:¹

أمر بتشبيده السلطان المريني أبو عنان الحسن سنة (754هـ/1353م) بعد استيلائه على تلمسان والمغرب الأوسط.² وقد تم تشبيده في المنصورة.³

مسجد أبي مدين شعيب:⁴

أمر ببنائه السلطان أبو الحسن المريني سنة 739هـ/1338م. وارتبط اسمه بالعالم الصوفي أبي مدين الغوث.⁵

المطلب الثاني: الكتاتيب⁶

أسست مراكز أخرى لا تقل أهمية علمية إلى جانب المساجد، وهي متخصصة لتعليم الصبيان القرآن وأحكامه. وقد عرفت هذه المؤسسة بالكتاب أو الكتاتيب؛ وهي عبارة عن قاعة واسعة بها مجموعة من الصبيان والمعلمين. وكانت تعتبر من المؤسسات التعليمية الهامة

¹-سيدي الحلوي: هو أبو عبد الله الشوذي، الملقب بسيدي الحلوي، كان قاضيا بإشبيلية، واكتسب شهرة كبيرة، قدم إلى تلمسان عام 1260م وأخذ يبيع الحلوى للأطفال حتى لقب بسيدي الحلوي. انظر، عبد العزيز فراخ: تلمسان المدينة المحراب . منشورات أبيك، تلمسان، 2011، ص276.

²- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص148.

³-المنصورة: هي مدينة أسسها أبو يعقوب يوسف خلال حصاره لتلمسان خلال سنوات 698-706هـ وهي مدينة مسورة ، شيد فيها القصور والحمامات، وسماها تلمسان الجديدة. انظر مسعود بن ساري:جماليات المكان بحاضرة تلمسان، ص65.

⁴-أبو مدين شعيب: هو الشيخ الزاهد العارف الكبير قطب التصوف، أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي الأشبيلي، وكنيته أبو مدين. انظر محمد الطاهر علاوي: العالم الرياني أبو مدين شعيب التلمساني، مر[أبو بكر مرزوق]، دار تلمسان د م، 2011، ص16.

⁵- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص147.

⁶-الكتاتيب: مفردا كتاب. وفي لسان العرب: الكتاب موضع تعليم الكتاب. والجمع الكتاتيب أو المكاتب. والمكتب المعلم والكتاب الصبيان. انظر: ضحى الإسلام، لأحمد أمين، ج2، ص50.

بالمغرب الإسلامي¹. وقد نشأت منذ الأيام الأولى على يد الفاتحين. وكان أولها بإفريقية. ثم التحقوا بالتعليم بهذه المراكز².

ولقد كان الهدف من تأسيس هذه المؤسسة التعليمية، هو تخفيف الضغط عن المساجد، وحفظ مكان العبادة من نجاسات الأطفال³، وهذا لحماية المساجد من الصبيان سواء من نجاسة ثيابهم أو أرجلهم⁴.

وقد تأسست الكتاتيب لتعليم الصبيان القرآن الكريم وأحكامه. وكانت تعلم القرآن والكتابة في آن واحد. وقد أطلق عليها في المغرب الأوسط اسم المسجد، وهو تحريف لكلمة مسجد. وكان عبارة عن حجرة أو جناح في المسجد⁵.

وكان في سهول المغرب وجباله ومدنه وقراه عشرات الآلاف من المساجد، وهي كتاتيب قرآنية لتحفيظ القرآن الكريم بالقراءات السبع، وتكفل بختم القرآن.

وقد كانت الكتاتيب معروفة قبل الموحدين في المشرق والمغرب والأندلس. حيث بدأت بالظهور مع استقرار أوضاع الإسلام في أواسط القرن الأول الهجري. وكان تأسيس الكتاتيب بسيط البنیان في بادئ الأمر، يجتمعون فيه لتعليم القراءة والكتابة، وحفظ كتاب الله عز

¹ - أحمد بن أبي جمعة المغراوي: جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تح [جلولي البدوي ورايح بونار]، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 18.

² - الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ج 7، ص 83.

³ - ابن عبدون: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح [ليفي بروفنسال]، القاهرة، 1955، ص 24.

⁴ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ج 1، ص 4.

⁵ - عبد العزيز بن عبد الله: معلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى، دار الثقافة والنشر بالجامعة، الرباط، 1985، ص 51.

وجل.¹ وقد أنشأ عبد المؤمن بن علي وحفيده يعقوب المنصور مراكز تعليمية ومنها الكتاتيب. وكان التعليم في الكتاتيب يقوم على حفظ القرآن الكريم.²

والمغرب الأوسط كغيره من أمصار المغرب الإسلامي لم يخرج من هذا الوضع التعليمي، حيث ذكر الغبريني أنه كان لبجاية دور بارز باعتبارها حاضرة من حواضر المغرب الأوسط في العهد الموحيدي. وبين ذلك في ترجمة للشيخ أبي الحسن بن محمد الزواوي، حيث كان الغبريني آنذاك تلميذا في الكتاب.³

عمل عبد المؤمن على نشر مبادئ الموحدين في الكتاتيب وباقي المؤسسات التعليمية الأخرى، فكان عبد المؤمن هو أول من فرض التعليم الإلزامي ومجانية التعليم في المغرب.⁴ ونمت وتطورت الكتاتيب في كل عواصم وحواضر المغرب الأوسط. وتعددت الكتاتيب كتعدد المساجد في كل مدن ودور الأعيان والأغنياء، وفي قصور الخلفاء.⁵

وكان لبني زيان أيضا حظ وافر من الاهتمام بهذه المؤسسة. فقد كانت كعندها السابق في عهد الموحدين مخصصة لتعليم الصبيان حفاظا على قداسة المساجد من نجاسة الأطفال.⁶

وقد تميزت الكتاتيب منذ ظهورها ببساطة أثاثها، حيث كانت تفرش بالحصير المصنوع من الحلفاء أو الدوم. يجلس عليها الصبيان مشكلين حلقة حول المعلم، وبأيديهم بعض الكتب والمصاحف وأدوات الصبغ والصوف.⁷ وعندما بلغت دولة بني زيان أوج قوتها، أنشأت

¹ - محمد سحنون : كتاب آداب المعلمين، ص 33. انظر شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات، ص 78.

² - محمد المنوني: حضارة الموحدين، ص 16.

³ - ص 134.

⁴ - علي عشي: المرجع السابق، ص 106.

⁵ - محمد سحنون: المرجع السابق، ص 33.

⁶ - عبدلي لخضر: المرجع السابق، ص 498.

⁷ - محمد بوشقيف: المرجع السابق، ص 42.

العديد من الكتاتيب. وقد ألحقت معظم كتاتيبها بالمساجد، وخاصة منها الكتاتيب المنشأة من قبل الدولة.¹

المطلب الثالث: الرباطات والزوايا

لعبت الرباطات دورا هاما في نشر العلم وتلقيه لفئة كبيرة من المريدين. فكانت الأربطة في بادئ الأمر مؤسسة يربط فيها المسلمون للجهاد في سبيل الله. وقد نشأت أول مرة في المشرق في مطلع الدولة العباسية، فكانت عبارة عن ثكنة عسكرية لحماية الدولة ودفع المغيرين والمهاجمين. أما الرباط بالمغرب، فكان أكثرها نفعا وأبعدها أثرا. إذ أن مهمته لا تقتصر على التربص بالمغير على الشواطئ والتغور وحمايتها فقط.

وعرف المغرب الرباطات مع بداية الفتح الإسلامي، حيث يذكر المؤرخون على عهد إدريس الفاتح رباط ماسه بسوس في أخبار عقبة بن نافع وموسى بن نصير، ورباط ساكر عن ضفة وادي نفيس بجوار مراكش. وازدادت أهمية الرباطات المغربية في عهد المرابطين ثم الموحدين من بعدهم من الجهتين العسكرية والعلمية. كما امتدت على سواحل المغرب، وخاصة ساحل البحر الأبيض المتوسط.² قال تعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ".³

¹ - شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 78.

² - يوسف الكتاني: مدرسة الإمام البخاري بالمغرب، دار لسان العرب، بيروت، د ت، ج 1، ص 479-478.

³ - سورة الأنفال: الآية 60.

والرباطات هي مدرسة ثانوية، والتعليم به هو شرح لأصول التعليم بالكتاب. فهناك تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف وكتب الفقه وشعر المواعظ التي تسمى الرقائق والتي تتعقد لها مجالس خاصة يومي السبت والخميس. ولا يخلو الرباط من أناشيد دينية تسمى العادة.¹

وفي عهد ابن تومرت، استطاع بمنهجه التربوي إكمال رسالة الربط التي بدأها المرابطون. ولقد طور المهدي بساطة التعليم في الرباط، جاعلا من علم وعقيدة التوحيد أساس الثقافة الموحدية.² وقد وجدت بالمغرب الأوسط، ومنها رباط ملالة ورباط تلمسان³ وبونة وعنابة ورباط أبي مروان العابد الشهير ومرسى الخزر وشرشال وهنين وعمران رباط الفتاح.⁴

وفي أواخر القرن 8 هـ / 14م، ساد لفظ الزاوية مكان الرباط الذي تولدت عنه الزوايا، وهي مكان آخر أو مركز ذو قيمة دينية ثقافية علمية.⁵ والزاوية هي مؤسسة دينية كانت تؤدي فيها الصلوات الخمس، فضلا عن الدروس التي كانت تلقى على الطلبة. ومن بين الزوايا التي قامت بهذا الدور: زاوية أبي يعقوب، التي أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني على ضريح ولده.⁶ وما يؤكد لنا أن الزوايا هي رباطات، هو ما ذهب إليه ابن مرزوق. وهذه الزوايا هي التي يطلق عليها في المشرق الربط. وقد انتشرت الزوايا في المغرب الإسلامي كله، وفي المغرب الأوسط، خصوصا في عهد الدولة الزيانية. وقد اهتم رجال الطرق الصوفية ببناء عدة زوايا...⁷

¹ - محمد الأمين بالغيث: الربط بالمغرب الإسلامي، ودورها في عصر المرابطين والموحدين، دراسة تاريخية وحضارية، دار بن حزم، بيروت، ص 156.

² - ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 301.

³ - ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح [محمود علي مكي]، دار الغرب الإسلامي، تطوان، ط 2، 1964، ص 77.

⁴ - مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 62.

⁵ - محمد بوشقيف: المرجع السابق، ص 62.

⁶ - بلعربي خالد: ورقات زيانية دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني، دار هومة، الجزائر، 2014، ص 146.

⁷ - عبد الجليل قريان: المرجع السابق، ص 177-179.

...منها: زاوية سيدي الحلوي التي أنشأها أبو عنان بشمال المدينة، وزاوية أبي زيد، وزاوية أبي مدين شعيب بالعباد¹،

وزاوية السنوسي.....² وزاوية الحسن بن مخلوف، الملقب جابر، الذي كان بتلمسان أيضا.³

المطلب الرابع: المدارس⁴

كانت العلوم في العصر الإسلامي الأول تدرس في المساجد. ونظرا لتوسع الفتوحات الإسلامية وتلاقح الأفكار بين المسلمين والحضارات الأخرى، إلى جانب عدم قدرة المسجد على استيعاب مختلف الأنشطة العلمية والتعبدية معا بعد توسع نطاق العلوم وتنوعها، وكثرة المشتغلين بطلب العلم، كان من اللازم إنشاء مؤسسة أخرى تقوم بعبء التعليم والتعلم.⁵ والمدارس هي تلك الدور أو المباني التي يقصدها طلاب العلم، ويتولى التدريس فيها معلمون وأساتذة وعلماء.⁶

وقد تأخر ظهور المدارس بالمغرب الإسلامي بحوالي قرنين من الزمن،⁷ حيث ظهرت في العالم الإسلامي أواخر القرن الرابع الهجري بمدينة نيسابور. وأول من بنى المدارس وجعلها

¹ -وهي قرية على بعد كيلومترين شرقي تلمسان ودفن فيها المتصوف المشهور أبو مدين شعيب وعدة علماء وأولياء صالحين. عبد الله التتسي: المصدر السابق، ص286.

² - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص ص 148-149.

³ - عبد الله التتسي: المصدر السابق، ص248.

⁴ -المدرسة: اشتقت من الفعل درس وفعل درس في اللغة العربية عدة معان فدرس بمعنى قرأ. والمدارس الذي قرأ الكتب ودرسها و المدراس والمدرس: الموضع الذي يدرس فيه. أنظر ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ت، مج6، ص ص 79-80.

⁵ - عبد الجليل قريان: المرجع السابق، ص110.

⁶ -بوشقيف محمد: المرجع السابق، ص58.

⁷ عبد الجليل قريان: المرجع السابق، ص111.

جزء من اهتمام الدولة، هو أبو علي الحسن بن إسحاق، الملقب بنظام الملك، بنى المدرسة النظامية سنة (459هـ/1066م)¹. وعرفت بالنظامية لأنها أول مدرسة أضحت مستقرا للفقهاء والمعلمين.²

وقد ظهرت المدارس في المشرق وانتشرت في بلاد الشام ومصر، ثم انتقلت إلى بلاد المغرب، حيث ظهرت في المغرب الأقصى. وأنشأ العابد مدرسة الحلقائيين بمدينة فاس، وتعد هي المدرسة الأولى في المغرب الأقصى.³ وعرفت فترة الموحدين بازدهارها العلمي والثقافي والفكري، حيث اعتنى سلاطين الموحدين ببناء المدارس قبل الحفصيين والزيانيين والمرينيين، ولكن لم يبق لها الأثر المادي لأن المرينيين هدموها وأقاموا مكانها مدارس تحمل أسماء ملوكهم وطابعهم الخاص. ومن المدارس التي ذكرها المؤرخون: مدرسة المسجد الأعظم بطالعة في سلا وانضمت لها، بينما ظلت مدرسة المرينيين قائمة.⁴

ويقترن اسم عبد المؤمن وحفيده يعقوب المنصور بكثير من المدارس المنشأة في هذا العصر. فقد أسس عبد المؤمن مدارس بمراكش، واستدعى رشيد الثاني ليستعين به على تنظيمها. ومن بين هذه المدارس: المدرسة العامة لتخريج الموظفين، والمدرسة الملكية لتعليم أمراء الموحدين. وكذلك أسس مدرسة التعليم في فن الملاحة.⁵ ومنه انتشرت المدارس بالحوضر الكبرى لدولة الموحدين، ومنها المغرب الأوسط. ويؤكد ذلك ابن الخطيب من خلال الأبيات التي كتبها عن عناية يعقوب المنصور بتشبيد المدارس، حيث قال:

وكان ذا علم شهير وعمل*ونال من فعل النقي كل أمل

¹ - المقرئ: المواظ والاعتبار بذكر الخط والآثار المعروفة بالخط المقرئ، دار صادر، بيروت، د ت، ج 2، ص 363.

انظر: تحفة الراكع والساجد بأحكام المساجد، ص 327.

² - ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، [إحسان عباس]، دار صادر، بيروت، د ت، مج 2، ص 382.

³ - عبد الجليل قريان: نفسه، ص 111.

⁴ - إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج 1، ص 345.

⁵ - محمد المنوني: حضارة الموحدين، ص 17.

وشيد الآثار والمدارس * ونواه القصور والمجالس¹

ويصف لنا الحسن الوزان مراكش بقوله: في هذه المدينة مدارس وحمامات وفنادق؛ منها ما بناه ملوك الموحدين.² حيث قام عبد المؤمن ببناء مدرسة مطرقة العلوم، وكان فيها عدد كبير من الطلبة مع الأساتذة.³ ومن المدارس الأخرى أيضا: مدرسة أبناء الملك وأكابر الأمراء، تحتوي على قاعة كبيرة وجميلة ومربعة، تحيط بها من كل جانب.⁴

وبالإضافة إلى هذه المدارس، هناك مدارس أخرى في المغرب الأوسط لم تكن لها شهرة، كمدرسة العاصمة مراكش، لأن اهتمام السلاطين يكون حول العاصمة وضواحيها. وقد كان لكل جامع أعظم في الحواضر الكبرى مدرسة تابعة له. ويسقط دولة الموحدين وبروز دولة بني عبد الواد، وسيطرتها على تلمسان وضواحيها، ظهر اهتمامهم بالمدارس وتشييدها في المغرب الأوسط، وكان ذلك خلال القرن 8 الهجري/14 الميلادي. وقد استتبطوها من المشرق على نمط المدرسة النظامية.⁵

أما الزيانيون، فقد أسسوا خمس مدارس واضحة المعالم، ومن أهمها وأولها:

مدرسة ابني الإمام: أول مدرسة بالمغرب الإسلامي. أسسها أبو حمو موسى الأول⁶ سنة (710هـ/1310م)، وقد أنشأها تكريما للفقهاء: أبي زيد عبد الرحمان وأخيه أبي موسى عيسى

¹- أبو عبد الله بن الخطيب: "رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1216، ص55.

²- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص127.

³- مرمول كريخال: المصدر السابق، ج2، ص49.

⁴- الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص133.

⁵- بالعربي خالد: المرجع السابق، ص145.

⁶- التتسي: المصدر السابق، ص139.

ابني الإمام الفقيه أبي عبد الله محمد بن الإمام. وقد استمرت حتى القرن الخامس عشر الميلادي. وكانت أول مدرسة بالدولة الزيانية بتلمسان.¹

وقد عين السلطان للتدريس بها فطاحل العلماء لتؤدي رسالتها على أتم وجه أمثال: عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن الإمام أبي زيد، وأخيه العلامة الكبير أبي موسى عيسى ابني الإمام التلمسانيين.²

وذكرهما ابن فرحون في الديباج فقال: أبو زيد شيخ المالكية بتلمسان.³

المدرسة التاشفينية

وهي نسبة إلى مؤسسها السلطان أبي تاشفين بن أبي حمو الأول⁴ سنة (718-738هـ/1337-1318م)،⁵ وأنشئت قرب الجامع الأعظم.⁶ وظلت هذه المدرسة تؤدي وظيفتها التربوية والتنقيفية طوال فترة الدولة الزيانية.⁷

المدرسة اليعقوبية:

قام بتأسيسها السلطان أبو حمو موسى الثاني تخليدا لوالده أبي يعقوب، حاكم إقليم الجزائر.⁸ وتم تشييد هذه المدرسة بجوار مسجد إبراهيم المصمودي شرق مسجد أبي الحسن

¹ -صالح بن قرية: تاريخ الجزائر الوسيط من خلال المصادر، ص 141.

² - عبد الحميد حاجيات: الحياة الفكرية في تلمسان في عهد بني زيان، الأضالة، ع 25، ص 138.

³ -أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح[عبد الحميد عبد الله الهرامة]، دار الكتاب، طرابلس، 2000، ط 2، ص 245.

⁴ - الناصر السلاوي: الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، تح[جعفر الناصري ومحمد الناصري]، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج 2، ص 25.

⁵ -عزيز بوخالفة: المرجع السابق، ص 193.

⁶ - عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص 138.

⁷ -التنسي: المصدر السابق، ص 141.

⁸ - عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ج 2، ص 144.

وجنوب غرب المشور في حي باب الحديث؛ وشيدت عام (76هـ-791هـ/1358-1388م). وتم تأسيس هذه المدرسة بغاية التعليم ونشر العلم وتخفيف الضغط على المساجد والكتاتيب.¹ واهتم السلطان بالجانب العلمي لأنه كان من العلماء. وكان يهدف إلى تنمية الحركة العلمية بتشبيده لهذه المدرسة.²

وفي الفترة التي سيطر فيها بنو مرين على تلمسان، أسسوا مدارس. وقد كانت هذه المدارس فيما بعد من حظ الزيانيين، وأصبحت ضمن ممتلكات دولتهم ومن بينها:

مدرسة سيدي أبي مدين بالعباد

أنشأها السلطان المريني أبو الحسن المريني سنة (748هـ/1347م)³ بعد أن تم له الاستيلاء على تلمسان بقرية العباد، وهي قريبة من مسجد وضريح سيدي أبي مدين.⁴

مدرسة سيدي الحلوي:⁵

وهي من بين المدارس التي أنشأها السلطان أبو عنان فارس المريني بجانب مسجد الولي الصالح أبي عبد الله الشوزي الملقب بالحلوي⁶، وكان ذلك سنة (754هـ/1353م).⁷

¹ - صالح بن قرية: تاريخ الجزائر من خلال المصادر، ص150.

² - عبد الجليل قريان: المرجع السابق، ص121.

³ - عبد الحميد حاجيات: الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، ص138.

⁴ - محمد بن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تق[محمود بوعباد]، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص406.

⁵ - جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي: أنباه الرواة على أنباه النحاة، تح[محمد أبو الفضل إبراهيم]، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986، ج2، ص139.

⁶ - عباس قويدر: المؤسسات التعليمية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن الهجري والرابع عشر الميلادي، دورية كان التاريخية، العدد الثامن عشر، 2012، ص90.

⁷ - عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص138.

وقد أنشئت في الجهة الشمالية الشرقية التي يتوسطها باب الزاوية خارج سور تلمسان. وقد عين للتدريس في هذه المدرسة العالم الكبير أبو عبد الله المقري المعروف بالجد.

مدرسة منشار الجلد:

إن مكان وتاريخ إنشاء هذه المدرسة مجهول، ولكن يرجح أن موقعها كان بالقرب من مسجد ابن البناء.¹ (انظر ملحق رقم 03)

المطلب الخامس: المكتبات

إن وجود المكتبات كان لا بد له أن يكون لحفظ الكتب بمختلف أنواعها. والدولة الموحدية التي قامت على أساس العلم أن مؤسسها كان طالبا محبا للعلم، وكان قدوة لتابعيه ومن بعده الخلفاء الذين حكموا الدولة. وقد وجدنا إشارات عديدة لوجود مكتبات سواء عامة أو خاصة، أو تابعة لمؤسسة من المؤسسات السابقة، لحفظ الكتب وترتيب وتنظيم أمور دولتهم. وقد وجدت هذه الإشارات في المغرب الأوسط في عهد دولة الموحدين.

ومن بين ما اهتم به الخلفاء: إنشاء المكتبات والخزائن العامة وتزويدها بمختلف الدرر العلمية التي كانت تصدر في جميع أنواع العلوم والفنون.²

وبذلك حرص الموحدون على تدعيم العلم والعلماء بإنشاء المكتبات اللازمة لهم. وكانت هذه المكتبات ركائز قوية للحركة الفكرية في الدولة الموحدية، فعرفت خزائن الكتب إبان حكمهم ازدهارا كبيرا وانتشارا كثيرا، وأصبح لكل أمير ولاية من الولايات الموحدية، سواء بالمغرب

¹ - ابن مريم التلمساني: البستان في ذكر الأولياء وعلماء تلمسان، مطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص 230.

² - يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج 2، ص 251.

الأقصى أو المغرب الأوسط أو الأندلس، مجلس خاص به. وقد ازدهر نشاط حرفة الوراقة والنساجة.¹

وجرت العادة في المغرب أن تكون دور المكتبات للمساجد والأربطة والمدارس؛ وأعظمها يكون عند الحاكم الخليفة يوسف بن عبد المؤمن (558-580هـ/1162-1184م). واشتهر بأنه جمع الكتب ووضعها في الخزانة العامة. وكان محبا لجمع الكتب.² وقد ذكرت في الديباج مكتبة في المغرب الأوسط في عهد الموحدين، هي مكتبة عبد الحق الإشبيلي البجائي التي نهبت عند الفتنه الواقعة في الأندلس.³ كما ترك ابن دحية الكلبي، نزيل تلمسان وبجاية، مكتبة كبيرة أغلبها من إنتاجه خلفها في المغرب.⁴

ولم تقتصر المكتبات على المغرب الأوسط في عهد الموحدين فقط، بل حتى في عهد بني زيان اهتموا بتشيد مكتبات لحفظ الكتب وحمايتها، والمساعدة على الحفاظ على العلم ولوازمه. ومن بين مكتباتهم: المكتبة التي أنشأها أبو حمو موسى الثاني سنة (760هـ/1358م). هذه المكتبة توجد بالجامع الأعظم بتلمسان على يمين المحراب بالمكان الذي زالت فيه الخشبة. وقد كانت بها مجموعة من المخطوطات بشتى العلوم.⁵

¹ - محمد سعيد حنشي: " تاريخ خزائن الكتب في المغرب الأقصى "مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعية المجاهد، للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، العدد 72، ديسمبر 2010، ص 171.

² - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 172.

³ - ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح [مأمون بن محي الدين الجنان]، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص 277.

⁴ - الذهبي: تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1955، ط 18، ج 4، ص 1420.

⁵ - عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص 183.

وخزائن الكتب التي أنشأها السلطان أبو زيان محمد بن أبي حمو موسى سنة (796هـ/1393م)، تقع في القسم الأمامي من الجامع الأعظم أيضا، وقد ملئت بجميع الكتب من مختلف المجالات؛ ومن الكتب من استنسخه بيده كالقرآن الكريم وصحيح البخاري.¹

ولم يقتصر الأمر في العهد الزياني على إنشاء مكتبات عامة، بل كانت هناك مكتبات خاصة يملكها العلماء والفقهاء في دورهم، خاصة لدى الأسر وبيوتات العلم ذات الشهرة الواسعة. وقد اهتم الوراقون بجمع الكتب ونسخها. وكان لأبي عبد الله المرزوق دكان ينسخ فيه المصاحف. وقد وجدت معظم هذه المكتبات في مساجد ومدارس، وخاصة منها مكتبة في مدرسة أولاد الإمام التي زارها المقري. وقد زودت مكتبات تلمسان ومدن المغرب الأوسط بمجموعة كبرى من الكتب الأندلسية التي أتى بها المهاجرون إلى المغرب الأوسط.

ومما لا شك فيه أن كل هذه العوامل، سواء أكان استقرارا سياسيا، أو اهتماما من قبل الحكام، أو مساهمة فئة من الأندلسيين، قد صبغت المراكز التعليمية بصبغة جيدة، وظهرت جليا من خلال تشييد المراكز وجعلها مقرا للتعليم في شتى العلوم، وخصوصا تعاليم الدين. ولو لم تكن تظهر هذه العوامل لما استطاع المغرب الأوسط الازدهار والرقى في مراكزه التعليمية. وبما أن عصر بني زيان هو خروج من حكم شمولي إلى حكم قطري، نرى ونلاحظ مدى اهتمامهم بالمؤسسات التعليمية، وذلك لأن معظم حكامهم من طبقات العلماء وقد قاموا بتشديد مدارس وجعلوها تحظى بنظام أكاديمي طوال فترة حكمهم. واستقطب بنو زيان مجموعات مهاجرة من الأندلس وجعلوا لهم أماكن خاصة ومناصب هامة في الدولة، وذلك ما زاد في نمو حضارة الدولة وتقدمها.

¹-التسني: المصدر السابق، ص 210-211.

الفصل الثاني:

نظام التعليم في المراكز التعليمية بالمغرب
الأوسط خلال عصر الموحدين والزيانيين

أولاً: مراحل وطرق التعليم

ثانياً: الإجازة العلمية وأهم المجازين

الفصل الثاني: نظام التعليم في المراكز التعليمية بالمغرب الأوسط خلال عصر الموحدين والزيانيين

كان التعليم في المراكز التعليمية في المغرب الأوسط قد مر بمراحل عبر مختلف العصور وفي شتى المراكز. وقد مر بنظام خاص بها، سواء داخل المؤسسة أو من طرف المعلم. وبما أن التعليم هو أساس الازدهار والتقدم، فإننا نلاحظ أن كلا من الموحدين والزيانيين قد عملوا على تطويره، وحافظوا على هذه المؤسسات ونظامها. وهكذا يظهر لنا أن نظام التعليم قد مر بثلاث مراحل هي كالتالي:

المبحث الأول: مراحل وطرق التعليم

المطلب الأول : مراحل التعليم.

أ-المرحلة الأولى"التعليم الشعبي"

يمكن التعبير عنها بالمرحلة الابتدائية. وهي التي كان يتلقى فيها الأطفال المبادئ الأولية وحروف الهجاء،¹ وتتم في الكتاتيب. ويدخل الطفل لهذه المرحلة في سن مبكرة نسبيا، أي في سن السابعة،² وكان يحددها الفقهاء. وهو نفس الشيء الذي يحث عليه الحديث النبوي. كما يجب على الأولياء أن يلزموا أبناءهم بأداء الصلوات في نفس السن التي يلتحق فيها الصبي بالتعليم في الكتاتيب. قال ﷺ "من تعلم القرآن في شببته، اختلط القرآن بلحمه ودمه. ومن تعلمه في كبره، وهو يتقلب منه ولا يتركه، فله أجره مرتين"³

¹ كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للنشر، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996، ص 115.

² الحسن الوزان: المصدر السابق، ج 1، ص 261.

³ محمد بن سحنون: المصدر السابق، ص 81.

وكما أن جميع طرق التدريس تنتهي بإجراء امتحانات في جميع المواد من طرف الأستاذ أو الشيخ المشرف لينال في الأخير الترخيص للانتقال إلى درجة أو مرحلة أخرى.¹ وقد ارتكزت طريقة علماء تلمسان في التدريس على البحث وأعمال الفكر في المسائل العلمية، بالإضافة إلى الحفظ. وكان الطالب يقوم بدور محوري في الوصول إلى المعلومة؛ أما دور الأستاذ فكان عبارة عن توجيه وإدارة المناقشات والمناظرات، كما هو الحال عليه في العهد الموحي.²

ومما لا شك فيه، أن هذه الطريقة مفيدة لطلب العلم، لأنها من ناحية تجبره على الاطلاع، ومن ناحية أخرى تركز على عملية الجدول والمناظرة أكثر مما تركز على الحفظ. ونجد ممن درس بهذه الطريقة الشريف التلمساني (ت 771هـ/1369م) في المدرسة التاشفينية، وسعيد العقيناني وولده أبو الفضل.³

ومنذ الفترات الإسلامية الأولى كانت هذه المرحلة تتم في الكتاتيب، أو لدى المعلمين الخواص.⁴ ويبعث الصبي إلى الكتاب إذا كان عاقلاً. وكان يقوم بتعليم الصبيان في هذه المرحلة معلم أو معلمان إذا كان عدد الصبيان كثيراً، ويبدأ بحفظ القرآن ثم يتعلم الكتابة.⁵

وفي هذه المرحلة نلاحظ أن الموحدين قد حرصوا على نشر المعرفة الدينية وتعميقها لدى أهل المغرب.⁶ كما حرصوا على تعليم عقيدة المهدي بن تومرت من خلال كتابيه: الموطأ، وأعز ما يطلب.⁷

¹ - يوسف أشباح: المرجع السابق، ج2، ص255.

² - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص353.

³ - بسام كامل عبد الرزاق شقدان: المرجع السابق، ص224.

⁴ - أحمد أمين: المرجع السابق، ج2، ص22.

⁵ - أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام، دار المعارف، مصر، 1968، صص 64-65.

⁶ - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص340.

⁷ - مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص150.

وكان يقوم بتدريس الطلبة بنفسه بعد أن يقسمهم إلى أفواج، و يتكون الفوج من عشرة أفراد . ثم جاء دور عبد المؤمن ويوسف اللذين اقتنيا نفس منهج ابن تومرت. وكان التعليم في عهد الموحدين إجباريا ومجانيا في هذه المرحلة . وكانت الدروس التي تلقى عبارة عن دروس تطوعية ¹.

أما في العهد الزياني فكانت الدروس التي كانت تلقى، يأخذ عليها المعلم أجرته من الأوقاف. وكانت المرحلة الأولى من التعليم لدى بني زيان تتم في الكتاتيب والزوايا والمساجد، ويقوم بتعليمهم القرآن والخط والقراءة. وأما مرحلة التعليم لدى العهدين فكانت جد متقاربة، ولا نجد اختلافا في دفع الأجرة التي كانت من الأوقاف .

وتنتهي هذه المرحلة عندما يتمكن التلميذ من حفظ واستظهار كتاب الله تعالى والقراءات التامة. وبعد ذلك ينتقل إلى المرحلة الثانية.²

ب-المرحلة الثانية :

وهي المرحلة التي تلي المرحلة الابتدائية، إذ ينتقل إليها الأطفال الذين أنهوا تعليمهم في المرحلة الأولى في الكتاتيب بعد أن يكون الطالب قد ألم بحفظ القرآن ومبادئ الكتابة والقراءة واللغة العربية. وكانت هذه المرحلة تتم في المساجد والمدارس. وكان غالبا ما يتولى التدريس الشيوخ البسطاء الذين كانوا يعلمون صغار الطلبة ويمكنونهم من بلوغ مستوى ثقافي لائق من معرفة دينهم والإلمام بالعلوم اللسانية .³ وهذه المرحلة تتسم بحرية الطالب في اختيار المواد الدراسية، وهو غير مقيد بمقرر دراسي سنوي .⁴

¹ - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص 341.

² - عبد الجليل قريان : المرجع السابق ، ص260.

³ - عبدلي لخضر :المرجع السابق ، ص ص 471 - 472.

⁴ - عبد العزيز فيلالي :المرجع السابق، ج2، ص347

وفي العهد الموحي كان عبارة عن معهد قائم بذاته، لا يتوانى أن يلعب دورا تربويا كبيرا في الدراسات الأولى، وتوضيح تعاليم الإسلام، فيدرس مبادئ الدين. وقد سلك الموحدون نوعا من التعليم الإجباري. وكان لا يستحق عندهم الدخول في مذهبهم إلا من درس عقائد المهدي، إلى جانب الحديث في الجهاد والقرآن الكريم.¹

وكانت دروس هذه المرحلة تتم في المساجد الجامعية كالجامع الأعظم بتلمسان وندرومة.

وكانوا يدرسون النحو واللغة والأدب. ومن يرغب في مواصلة الدراسة والتخصص ينتقل إلى المرحلة الأخيرة²

ج- المرحلة الثالثة :

وهذه المرحلة تسمى في عصرنا الحاضر بالتعليم العالي أو الجامعي إن صح التعبير. إذ ينتقل إليها الطلبة بعد الانتهاء من المرحلة الثانية. وهذا التعليم كان يتعاطاه الذين يرون في أنفسهم المقدرة على فهم الدروس التي كان يلقيها كبار الأساتذة.³ ويكون الطالب فيها في سن السادسة عشرة إلى الواحد والعشرين من العمر.⁴

ونجد الدروس التي تلقى على الطلبة أوسع من الأولى في الشرح، والزيادة في المسائل العلمية، يلقيها أساتذة متخصصون في علم من العلوم، سواء كانت علوما دينية أو دنيوية. وكان الطلبة يشدون إليها الرحال، منتقلين من بلد إلى آخر في سبيل طلب العلم.⁵ ونجد في عصر الموحدين أن جامع القرويين بفاس كان بمثابة جامعة ومركز علمي يقصده جميع الطلبة الراغبين في إكمال دراستهم حسب التخصص الذي يروقه. وهم يفدون من جميع أنحاء المغرب الإسلامي. وكان لا ينتصب للتدريس فيه إلا من كان له الكفاءة والمهارة في العلم والسلوك،

¹ - إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج 1، ص 346.

² - المغراوي : المصدر السابق، ص 48.

³ - عبدلي لخضر : المرجع السابق ، ص 472.

⁴ - عبد الجليل قريان : المرجع السابق، ص 263.

⁵ - عبد الحميد حاجيات : الحياة الفكرية في تلمسان، ص 138.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن جامع القرويين في عهد الموحدين كان بمثابة جامعة متكاملة.¹

وبظهور الدولة الزيانية بتلمسان، أصبحت العاصمة توفر كل الظروف الاجتماعية المناسبة للمغرب الأوسط، وأضحت هي مقصد العلم بفضل مؤسساته التعليمية. وتعد هذه المرحلة آخر مرحلة من التعليم، إذ يصبح الطالب عندها مؤهلاً للتدريس أو التأليف أو القيام بالبحوث الفردية.² وفيها كان الجامع الأعظم شبه جامعة على النمط القديم مثل: جامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بفاس، والأزهر بالقاهرة.³

وكان سلاطين بني زيان يشرفون بأنفسهم على تعيين الأساتذة في مدارس دولتهم، ويتحملون عبء دفع الأجرة.⁴ كما أن الطلبة كانوا لا يكتفون بما يتلقونه من العلوم في مدينتهم، بل يطوفون الأقطار طولا وعرضا للقاء بالعلماء المشهورين. وكان الكثير منهم يرحل إلى أقطار المغرب الإسلامي الأخرى والأندلس وكذلك الشرق الإسلامي.⁵

¹ -جمال أحمد طه :مدينة فاس في عهد الموحدين والمرابطين (448-668هـ / 1056 - 1269م), دراسة سياسية

وحضارية , دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ,الإسكندرية, د ت, ص274.

² -عبد الجليل قريان : المرجع السابق , ص261.

³ -عبد الحميد حاجيات : المرجع السابق ,ص138.

⁴ -التنسي: المصدر السابق, ص138.

⁵ -عبد الحميد حاجيات:المرجع السابق,ص138.

المطلب الثاني: طرق التدريس في المؤسسات التعليمية

إن أساليب طرق التعليم تختلف حسب مناهج العلوم وتطورها نظرا لتطور الفكر، فنجد في المغرب الأوسط خلال عهد الموحدين والزنانيين ثلاث طرق مورست داخل هذه المراكز وعرفت تباينا من مرحلة إلى أخرى، ويمكن أن نلخص هذه الطرق فيما يلي.

أ- طريقة الإلقاء والحفظ:

وهذه الطريقة تتم في الكتاتيب في المرحلة الأولى. وهي عبارة عن تلقين وحفظ للقرآن الكريم في المصاحف أو الألواح.¹ وكان تعليم الصبيان للقرآن شعيرة من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة في جميع الأمصار الإسلامية، وصار القرآن أصل التعليم.² وكان معلم الصبيان يجلس في وسط حلقة يلقي على طلبته بعض الآيات من القرآن الكريم، والطلبة يكتبون على لوح خشبي مصقول³ بواسطة الدواة والقلم. ثم يقوم بتحفيظهم سورا من القرآن. وعند إكمال حفظ السورة، يمتحن الصبي فيها فيما هو معروف بالختمة، وبعدها يخير الصبي بمواصلة طلب العلم أو الانقطاع عنه.⁴

أما عن التوقيت الزمني للدراسة، فكان يتم خلال ستة أيام في الكتاب، ويكون يوم الجمعة عطلة للصبيان. وكانت الحصص مقسمة إلى فترتين.⁵ تبدأ من بعد صلاة الفجر إلى صلاة العصر، فتجرى الدراسة في الفترة الصباحية، وتكون فيها المواد الأكثر صعوبة وحفظ القرآن، ثم ينصرف الصبيان إلى منازلهم لتناول وجبة الغداء، ويعودون في المساء لدراسة مواد مختلفة ويستظهرون ما حفظوه على شيوخهم.⁶

¹ - عبدلي لخضر: المرجع السابق، ص 478.

² - عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، تح [عبد السلام الشداوي]، ج 3، ص 220.

³ - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج 2، ص 350.

⁴ - عبدلي لخضر: المرجع السابق، ص 479.

⁵ - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج 2، ص 347.

⁶ - نفسه. ج 2، ص 247.

وفي عهد الموحدين كان ابن تومرت يجمع الطلبة من فترة إلى أخرى فيعرضون عليه ما حفظوه من القرآن أو التوحيد أو علوم أخرى؛ وكان يعاقب من تهاون على الحفظ والتعليم بواسطة السياط. ثم ترك طريقة تعليم القرآن عن طريق التلقين والحفظ¹. وما يتعلمه الطالب من القرآن الكريم كان على رواية ورش عن نافع، وهذا ما يدل على سيادة المذهب المالكي بين الفئات الشعبية².

وبمجيء الأندلسيين إلى تلمسان في عهد بني زيان، تغيرت هذه الطريقة. كما يرجع تغييرها أيضا إلى عودة شيوخ تلمسان من بلاد المشرق وإفريقية وعلى رأسهم ابن الإمام عمران المشذالي خلال القرن الثامن الهجري، حيث أدخلوا مواد جديدة للصبيان في مرحلة تعليمهم الأولى³.

ب - طريقة الإلقاء والشرح:

كانت هذه الطريقة شائعة في التدريس، إذ يقوم أحد الطلبة النجباء بقراءة نص من كتاب مشهور⁴ في المادة المدروسة، ويتولى الأستاذة شرحه فقرة حسبما يستدعي انتباههم، ويقيد الطلبة في كراريسهم من شرح الأستاذ وأجوبته⁵. وكانت هذه الطريقة سائدة في المرحلة الثانية من التعليم، فيقوم طالب من الطلاب بقراءة نص من الكتاب، ويتولى الطالب شرحه⁶.

¹- ابن القطان: المصدر السابق، ص 83.

²- شمس الدين محمد بن جابر الوادي أشي التونسي: برنامج ابن جابر الوادي أشي، تح [محمد الحبيب الهيلة]، جامعة أم القرى، تونس، 1981، ص 43.

³- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج 2، ص 346.

⁴- لخضر عبدلي: المرجع السابق، ص 479.

⁵- عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص 139.

⁶- بالعربي خالد: المرجع السابق، ص 147.

ومارس ابن تومرت هذه الطريقة بعد عودته من المشرق من خلال مجموعة من الكتب التي أحضرها معه. إضافة إلى مناقشتها وشرحها، خاصة من الكتب التي ألفها مثل: أعز ما يطلب، والقواعد والإمامة.¹ ويصف لنا الغبريني طريقة الإقراء في بجاية على يد أحد شيوخه، الذي عاصر العهد الموحي، وهو أبو القاسم أحمد بن عثمان بن عجلان القيسي (ت 675هـ/1276م) فيقول: "إذا جلس للإقراء، يحضر بين يده الكتب المقروءة، فإذا فتح الطالب الكتاب، أخذ هو الكتاب في يده، ويقرأ الطالب وتقع المعارضة، وحينئذ يقع الشرح منه لما يقرأه القارئ".² وممن درس بهذه الطريقة في عهد بني زيان نجد ابن مرزوق الخطيب سنة

(781 هـ / 1379م). وفي هذه الطريقة يمكن للطالب أن يثبت نفسه ويؤكد موقفه بين مجموعة من زملائه، ويكون نقاش الأساتذة بكيفية أكثر جرأة.³ وكان أسلوب القراءة من كتاب مشهور شائع في تعليم المواد الدينية واللغوية، وحتى المواد ذات الصبغة العلمية أو التطبيقية مثل الطب والهندسة.⁴

ج- طريقة المحاور والمناظرة:

طبقت طريقة المحاور والمناظرة في المرحلة الأخيرة، ويكون فيها طالب العلم على قدر كبير من العلوم المختلفة وقدرة الجدل. وعنها يقول ابن خلدون: "والجدل هو معرفة آداب المناظرة التي تجرى بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم. فإنه لما كان من باب المناظرة في الرد والقبول متسعا، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب مرسل عنانه في الاحتجاج منه ما يكون صوابا، ومنه ما يكون خطأ".⁵

¹ - ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص214.

² - ص99.

³ - بسام كامل عبد الرزاق شقدان: المرجع السابق، ص223.

⁴ - عبد الجليل قريان: المرجع السابق، ص269.

⁵ - ابن خلدون: المصدر السابق، ج3، ص21.

ومعنى كلام ابن خلدون أن الجدل هو حوار بين شخصين، يكون على قدر من العلم، وذا حجج قوية. وهذه الطريقة استعملها شيوخ المغرب الأوسط للتدريس.

وتتوفر هذه الطريقة على التحليل والتعليل والمحاورة. ويقوم الطالب في هذه المرحلة بالبحث للوصول إلى الأهداف المرجوة؛ ويكتفي الملقن أو الشيخ والمدرس بتوجيه الحديث والمناظرة وإدارتها.¹ ومن أهم النماذج التي ذكرها الغبريني عن الفقيه الشيخ أبي الحسن بن إبراهيم الحرالي التجيبي (ت 638هـ/1240م) قوله: "...وأصبحنا للحضور بمجلس الشيخ رحمه الله على جري عادتنا ولما جرت موجبات الاستدعاء للمحاورة ومقتضيات المذاكرة"².

المبحث الثاني: الإجازة العلمية وأهم المجازين

المطلب الأول : الإجازة العلمية³

والإجازة اصطلاحاً هي إذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعة، أو ملاقاته ولو لم يسمعها منه وكما يقرأها عليه، وذلك بقوله: "أجزت لك أن تروي عني الكتاب الفلاني، أو ما صح عندك من مسموعاتي".

وعرفها الإمام السمنى باعتبار أركانها الأربعة، فقال: الإجازة في الاصطلاح، الإذن في الرواية لفظاً أو خطأ يفيد الإخبار الإجمالي عرفاً؛ وأركانها أربعة: المجيز، والمجيز له، والمجاز به، ولفظ الإجازة.⁴ وقد عرفها الونشريسي ناقلاً عن سعيد بن لب بقوله: "الإجازة: هي بمثابة الشهادة التي يسلمها الأستاذ إلى الطالب أو مستجيزه".⁵

¹ - نفسه: ج3، ص215.

² - ص149.

³ - الإجازة لغة: مأخوذة من جواز الماء الذي يستعمل لسقاية الماشية والأرض. ويقال استجزت فلانا فأجازني، إذا سقى لي ماء الأرض وماشيتك، فكذاك طالب العلم يسأل العالم أن يجيز علمه. واعتبر الإمام الفسطلاني الإجازة مشتقة من التجوز وهو التعدي، فكانه عدى روايته حتى أوصلها للراوي عنه. انظر، يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج1، ص129.

⁴ - نفسه، ج1، ص129.

⁵ - الونشريسي: المصدر السابق، ج11، ص15.

وتأتي الإجازة العلمية، التي يحصل عليها بعض طلبة العلم من شيخه، تتويجا للدراسة كشهادة يثبت رسوخ أقدامه في علم من علوم، أو تضلعه في كتاب من الكتب. وهي إذن شخصي من طرف الشيخ، وتفويض منه للطلاب لممارسة التدريس أو الفتوى.¹

وللإجازة أهمية عظمى بحكم أنها شهادة، وأنها ضرورية في الرواية. حيث قال أبو محمد بن عتاب عن أبيه أبي عبد الله، وكان من أهل التفويض والتحري والتحفظ في الرواية، أنه قال: "لا غنى لطالب الحديث عن إجازة السمع ما يحمله من المحدث أو عرضه عليه، أو سمعه يعرض غيره بجواز الغفلة والسنة والإسقاط والتجيب والتبديل عليها أو على أحدهما".²

وفي القرون الأولى من الفتح، كانت الإجازة في الأصل تمنح إلا لمن يدرس علم الحديث. ثم عمم استعمالها، فصارت تمنح في كل علم أو فن. ثم انطلقت فصارت تمنح في عدة علوم يتقنها المجيز.³ وقد أكد ابن مريم عن أهمية الإجازة بقوله: "أعلم أن طلب الإجازة والرواية من شأن أهل العلم وكذلك معرفة أفاضل الأمة من صحابي وتابعي وفقهه، ومن الكمال ومعرفة تاريخ موتاهم وولادتهم لتمييز من سبق ومن لحق".⁴

ولم تكن الشهادة العلمية معروفة كما هو الحال في أيامنا هذه، وكان لزاما على من يريد أن يكون معلما، وأن يواظب على حضور حلقات الدرس لكي يتحلى بقدر كاف من العلوم تؤهله لكي يتعدى المهنة. ولن يناله ذلك إلا إذا حصل على الإجازة من معلمه.⁵

¹-عبد الجليل قريان: المرجع السابق، ص 273.

²-يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج 1، ص 130.

³-عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ج 1، ص 130.

⁴- ص ص 307-308.

⁵-مروان عبد الملك محمد: صور التعليم والحياة العلمية في الحضارة العربية الإسلامية، مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، العراق بغداد، مج 29، العدد 1، 2001، ص 41.

والإجازة نوعان: إجازة خاصة وإجازة عامة. فالإجازة الخاصة هي التي يعطيها الشيخ لطالب درس عنده كتابا معيناً، أو فن معين من فنون العلم حتى في رواية الشعر. والإجازة العامة هي التي تكون عامة لكل ما درسه الشيخ من فنون العلم المختلفة. وقد شاعت الإجازة العامة حتى غلب ذكرها على الإجازة الخاصة. إنها كانت تشكل عنواناً كبيراً للطالب على أنه متمكن من التدريس في مختلف العلوم. وهي مرتبة سعيدة للطالب لتبوءها.¹ وقد ورد في فتوى الونشريسي أن الإجازة لا تكون إلا للطالب النجيب، الذي ألم بأسانيد كتب هذا العلم وحفظ الرواية.²

وكانت بجاية وتلمسان خلال العهد الموحيدي منارتين للعلم، وقبله لمن يريد الإجازة والاستزادة والتعميق فيه بفضل العلماء والفقهاء والمشيخة ومؤسساتها التعليمية. وكانت الإجازة موجودة من قبل في المغرب الأوسط وقبل تأسيس دولة بني زيان.³ وأصبحت بمرور الزمن متوارثة جيلاً بعد جيل حتى أواخر الدولة الزيانية.⁴ ولم يكتف طلاب العلم بالإجازة التي كانت تمنح لهم من علماء بلادهم، بل كانوا ينتقلون إلى أماكن عديدة لينالوا الإجازة منها.⁵

¹ -عبد الجليل قريان: المرجع السابق، ص274.

² -الونشريسي: المصدر السابق، ج 8، ص236.

³ -المراكشي محمد : المصدر السابق ، السفر الرابع، ص29.

⁴ -عبد الجليل قريان : المرجع السابق، ص273.

⁵ -عبد العزيز فيلاي : المرجع السابق، ج2، ص356.

المطلب الثاني: نماذج عن الإجازة :

نلاحظ الكثير من طلبة العلم في عهد الموحدين في المغرب الأوسط من منحت لهم الإجازة ومنهم :

- جابر بن أحمد بن إبراهيم (كان حيا سنة 578هـ /1183م) . القرشي الحسني من أهل تلمسان، ويكنى أبا الحسن. أجازة الكثير من علماء عصره. وروى عن أبي بكر بن خير وأبي القاسم السهيلي وأبي الوليد يزيد بن يحيى وأبي الحسن بن مومن وأبي موسى عمران بن موسى التليدي وغيرهم¹.

- وكذلك الحافظ الحجة أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمان الأشبيلي البجائي، المعروف بابن الخراط. وهو أحد الأعلام، ومؤلف الأحكام الكبرى والصغرى،² خطيب بجاية. روى عن شريح بن محمد وأبي الحكم بن بركان وأبي حفص وعمر بن أيوب وغيرهم. وأجاز له ابن عساكر.³

- وأبو بكر بن سعادة الأشبيلي التلمساني. فقيه ومحقق. أخذ العلم عن أبي الحسن الشريح وأبي العباس بن حرب المسيلي. وتوفي سنة (600هـ/1203م). وكان ناقدا عالي الرواية.⁴

- وأجاز عدة شيوخ أيضا: الفقيه محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي (628هـ/1231م) وهو من قلعة بني حماد. وقرأ ببجاية، ولقي بها الشيخ أبا مدين الغوث.⁵ وتبين القصيدة الشعرية التي كانت من نظمه، أن مدرسه أرسلها له يشكره على الإجازة.⁶

¹- ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة، طبعة مدريد، ج2، ص7.

²- ابن شقدة: حول منتخب شذرات الذهب، د، م، ددد، ت، ج6، ص444.

³- ابن فرحون : المصدر السابق، ص، 276 - 277.

⁴- ابن مريم : المصدر السابق ، ص227.

⁵- الغبريني: المصدر السابق، ص218.

⁶- عبد الملك المراكشي : المصدر السابق، السفر الثامن، قس الأول، ص325.

- وحدث بالإجازة عن أبي الطاهر السلفي أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي بن دحية الكلبي (ت 633 هـ / 1235م). تولى ببجاية، وقد أجاز له أبو الوقت عبد الأول.¹

وهناك مجموعة من العلماء وطلاب العلم منحت لهم الإجازة، وأصبح لهم الحق في التدريس والتأليف. وكذلك نلاحظ في العهد الزياني مجموعة من العلماء حصلوا على هذه الشهادة التي ثبتت أقدامهم، وبرزت شخصيتهم من خلالها، نجد منهم:

- ابن المرزوق الذي تحصل على إجازات عديدة من طرف الشيوخ الذين درس عليهم وأجازوه بقوله: "وعاشرتهم كثيرا سفر وحضر. وسمعت بقراءته وسمع بقراءتي"²

- وأجاز الشيخ الفقيه المحدث القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الحق اليعفري التلمساني الفقيه أبا عبد الله محمد الخشني البجائي.³

- ويذكر ابن مريم أن أحمد المناوي طلب من شيخه أحمد بن زكر يطلب منه أن يجيزه، ويستعجل له في ذلك خشية أن يتوفى شيخه لكبر سنه.⁴

- وأورد عبد الرحمان الثعالبي في ترجمته لنفسه فقال: وحضرت أيضا شيخنا الأوبي⁵ وأجازني.

- وقد ذكر البكري في رحلته بأنه حل ببجاية، ولزم عالمها أبا عبد الله محمد جعفر في بيته قرابة شهر. وقال: سمعت عليه تصانيف كثيرة وأجازني، وكتب لي بخطه: وقد حل بمدينة

¹ - نفسه، قس الأول، ص 217.

² - محمد بن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص 93.

³ عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص 356.

⁴ ص 20.

⁵ محمد بن خليفة بن عمر التونسي الوشتاني الشهير بالأوبي عالم بالحديث من أهل تونس. انظر، التبتكتي: الابتهاج في تطريز

الديباج، ص 487.

قسنطينة ونزل مدة يومين عند أحد علمائها، وهو أبو الحسن علي بن عبد الله، وقال عنه: أجازني جميع مروياته.¹

ونلاحظ أن نظام التعليم في المغرب الأوسط خلال هذه الفترة كان متقاربا جدا إن لم يكن نفسه. وبما أن عهد بني زيان هو عهد انفصال من الشمولية إلى القطرية، فكان التشابه كبيرا. ولم يكن في هاذين العهدين فقط، فإن هذا النظام موجود منذ أوائل الفتح الإسلامي، وفي المشرق قبل المغرب. فهو ليس بجديد.

¹ عبد الجليل قريان: المرجع السابق، ص ص 275 - 276.

الفصل الثالث:

أهم العلوم المدرسة ودور المراكز التعليمية
في ترسيخ المذهب المالكي في عهد بني
زيان

أولاً: أهم العلوم المدرّسة خلال العهدين
ثانياً: دور المراكز في ترسيخ المذهب المالكي
في فترة بني زيان

الفصل الثالث: أهم العلوم المدرسة ودور المراكز التعليمية في ترسيخ المذهب المالكي في عهد بني زيان

ومما لا شك فيه أنه خلال هذه الفترة الممتدة من عهد الموحدين إلى نهاية دولة الزيانيين، أي فترة تحدد بحوالي أربعة قرون، أن الإنتاج الفكري والعلمي كان لا بد أن يكون وفيرا غزيرا بسبب مؤسساته التعليمية. وأن التأليف في شتى العلوم بلغ شأنا كبيرا في هذا العهد من خلال الإجازات العلمية الممنوحة. كما برز أيضا الدور الكبير للعديد من العلماء التلمسانيين في فترة بني زيان كانت لهم الريادة في تثبيت وترسيخ "المذهب المالكي"¹ الذي استمر إلى حد اليوم. ونلاحظ أيضا العديد من العلوم التي دخلت المغرب الأوسط وكانت بين العلوم النقلية والعقلية، وهي كالاتي:

المبحث الأول: أهم العلوم المدرسة خلال العهدين

المطلب الأول: العلوم النقلية

والعلوم النقلية هي العلوم المختصة بالمسلمين، وتستند إلى الشرع، وتؤخذ من الكتاب والسنة. وتنقسم إلى فرعين: العلوم الدينية والشرعية وتشمل: الحديث والفقه والتفسير وأصول الكلام وأصول الدين والقراءات والفرائض والتصوف والرؤيا.² والعلوم اللسانية هي العلوم المتعلقة باللغة والنحو والعروض والبيان والتاريخ.³

¹ - هو مذهب أهل الحديث ينسب هذا المذهب إلى الإمام مالك بن أنس الأصبحي رضي الله عنه . نشأ في المدينة ثم انتشر في الحجاز ثم إلى باقي البلدان الأخرى . انظر، أحمد تموريات: المذاهب الفقهية الأربعة (الحنفي - المالكي - الشافعي - الحنبلي) وانتشارها عند جمهور المسلمين) بتق [محمد أبو زهرة]، دار القادري، بيروت، 1990، ص 61.

² - بسام عبد الرزاق شقدان: المرجع السابق، ص 230.

³ محمد المنوني: العلوم والأدب والفنون في عهد الموحدين، ص 43.

ولقد اهتم الموحدون في المغرب الأوسط بالعلوم النقلية من تفسير وعلوم وقرآن وعلم وحديث. وقد كانت حركة الموحدين الإصلاحية الدينية التي ظهرت ضد المرابطين قد تركت آثارا هامة في تطور العلوم والحياة الدينية، وبهذا خرجت العلوم الدينية في المغرب من ظهور المناظرة للرأي والعقل، وانتقلت إلى طور عقائدي أكثر توازنا واعتدالا.¹

وازدهرت العلوم النقلية كذلك في عصر بني زيان، وكثر إقبال الطلبة عليها لأنها تمكنهم من الحصول على وظائف هامة في الدولة مثل: منصب القضاء والخطابة وغيرهما.²

علم القرآن الكريم

والقرآن الكريم هو كلام الله المنزل على رسوله الكريم ﷺ المنقول إلينا بالتواتر، المبتدئ بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس. وهو أساس الدين الإسلامي، وأساس الأصول التي يرجع إليها الفقهاء في استنباط الأحكام الشرعية.³

واهتم الموحدون بالقرآن، وحافظوا عليه من خلال تدريسهم. وكان عند الموحدين المصحف الأصيل، مصحف سيدنا عثمان رضي الله عنه.⁴ ونجد ضمن القرآن علم القراءات. وكان المغرب في عهد الموحدين من أشد الأقطار اهتماما بالعلوم، وأولوا عناية كبرى لعلم القراءات. وكان الأمير يوسف بن عبد المؤمن قد درس علم القراءات، وكان أحسن الناس نطقا بالقرآن الكريم.⁵

¹ - عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص 139.

² - بسام عبد الرزاق شقدان: المرجع السابق، ص 231.

³ - عبدلي لخضر: المرجع السابق، ص 547.

⁴ - مؤلف مجهول: الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 170.

⁵ - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 170.

وأوائل المقرئين المعتمدين بالقرآن وقراءته خلال العهد الموحي في المغرب الأوسط: محمد بن عبد الله بن محمد المصرفي القلعي (ت. 581هـ/1185م). إنه الشيخ الفقيه النحوي والأستاذ المقرئ. وكان حسن التلاوة وصادق القراءة. وقد خطب بالجامعين: الأعظم والقصبة.¹ كما برز أيضا منهم: أحمد بن عبد الصمد الخزرجي القرطبي، الذي نزل ببجاية واهتم بالقرآن. وألف كتابا سماه "نفس الصباح في غريب القرآن".² وفي عهد بني زيان نجد ابن مرزوق الحفيد الذي ألف أرجوزة ألفية في محادثات الشاطبية.³

علم التفسير:

هو البيان، ومعناه: تقول فسرت الشيء بالتخفيف، وفسرته بالتشديد تفسيرا، إذ بينته. وقد اختصت كلمة التفسير عند الإطلاق ببيان آيات القرآن الذي نزل باللغة العربية.⁴ واهتم الموحدون بالتفسير اهتماما كبيرا، فاستدعوا المفسرين من الأندلس ليتعاونوا مع المفسرين المغاربة.⁵ وشارك علماء المغرب الأوسط في حلقات القراء المفسرين أمثال: عثمان بن صاحب الصلاة (581هـ/1185م) وهو شارح كتاب الأحكام الصغرى لعبد الحق الأشبيلي، المشهور بابن الخراط. كما كان يجلس لعلوم الحديث والتفسير وعلوم الفقه والتذكير.⁶

وكذلك أبو زكريا يحيى بن علي الزواوي (ت. 611هـ/1214م).⁷

¹ الغبريني: المصدر السابق، ص 133-134.

² عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، ص 239.

³ التبتكي: المصدر السابق، ص 506-507.

⁴ عبدلي لخضر: المرجع السابق، ص 568.

⁵ احمد المنوني: حضارة الموحدين، ص 33.

⁶ الغبريني: المصدر السابق، ص 41-42.

⁷ التادلي: المصدر السابق، ص 428.

وكان يجلس لعلوم الحديث وعلوم الفقه وعلوم التذكير، وروى الموطأ عن إسماعيل بن مكي بن عوف الزهري، والقاضي أبو سعيد مخلوف ابن جاري روى عنه المصابيح.¹

ومن أبرز المفسرين في العهد الزياني منهم: عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، الذي كان عالماً في التفسير. واختصر تفسير ابن عطية في جزأين.² وكذلك سعيد بن محمد العقباني التلمساني، فسر سورة الفتح وأتى فيها بفوائد جلية.³ وأحمد بن زاغو التلمساني (ت. 846هـ/1443م) الذي ألف مقدمة في تفسير سورة الفتح.⁴

علم الحديث:⁵

ازدهر علم الحديث ازدهاراً لم يكن له من قبل. ولقد استمد نهضته وازدهاره من خلال استدعائهم العلماء الأندلسيين، وخاصة أيام يعقوب بن عبد المؤمن.⁶

واهتم علماء المغرب الأوسط بعلم الحديث. وظهر هذا في العديد من الكتب في الحديث المعروفة بالكتب الخمسة، وكان هذا خلال عهد الموحدين. وقد زاد بنو زيان كتاباً واحداً. ومن هذه الكتب: سنن أبي داود (ت. 275هـ/888م)، وسنن الترمذي (ت. 279هـ/892م).⁷

¹ الغبريني: نفسه، ص ص 127-128.

² التتبيكتي: المصدر السابق، ص ص 257-258.

³ نفسه، ص ص 189-190.

⁴ محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. المطبعة السلفية ومكتبها، القاهرة، د، ت، ج 1، ص 254.

⁵ علم الحديث : هو علم يعرف أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله فيندرج فيه معرفة موضوعه وأما غايته هي الفوز بسعادة الدارين انظر حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج 1، ص 635.

⁶ محمد المنوني: حضارة الموحدين ، ص ص 35-36.

⁷ حاجي خليفة : المرجع السابق ، ج 1، ص 559.

والصاحح الستة، وعمدة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم. ولمحمد بن زيان الكتب التالية بالإضافة إلى الكتب السابقة: التمهيد والاستذكار لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (ت. 462هـ/1069م)، والمنتقى للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت. 474هـ/1081م)، والمختار الجامع بين المنتقى والاستذكار لأبي عبد الحق بن سليمان التلمساني.¹ ومن أشهر المحدثين في عهد الموحدين نجد: أبا عبد الله بن أحمد اللخمي التلمساني المكناسي، الشهير بابن الحجام، المتوفى سنة (614هـ/1217م)². وفي عهد بني زيان نجد أبا عبد الله محمد بن محمد أبي بكر مرزوق بن الحاج التلمساني.³

علم الفقه:

هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهية والإباحة. وهي مستمدة من الكتاب والسنة ومن حجة الشرح لمعرفتها من الأدلة. فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة، قيل لها فقها.⁴ وازدهر الفقه في عهد الموحدين ازدهارا كبيرا، وكان قائما على مظهرين: المذهب الظاهري والمذهب المالكي.⁵ وكان المذهب الظاهري محبوبا من طرف الخلفاء الموحدين، وبصفة أخص في عهد يعقوب المنصور. وقد أحرق كتب المالكية وكانوا من التابعين لابن تومرت الذي حارب فقهاء المالكية واتخذ المذهب الظاهري.⁶

¹ عبدلي لخضر: المرجع السابق، ص ص 550 - 552.

² يوسف الكتاني: المرجع السابق، ج 1، ص ص 351 - 352.

³ ابن مرزوق التلمساني: المصدر السابق، ص 15.

⁴ ابن خلدون: المقدمة، ج 3، ص 3.

⁵ محمد المنوني: حضارة الموحدين، ص 35.

⁶ محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ص 50.

وظل المذهب المالكي في ظل دولة الموحدين يعرف الكبح والتضييق إلى أن سقطت الدولة وقامت دولة الثلاثة فانتهى التقليد للمذهب الظاهري ببلاد المغرب الإسلامي، وعاد في عهد الدولة الزيانية فقهاء المذهب المالكي.¹

وبالرغم من انتشار المذهب الظاهري خلال فترة الموحدين، فإننا نجد مذاهب أخرى في المغرب الأوسط، مثل: المذهب الإباضي والمذهب الشافعي؛ ومنهم محمد بن علي بن رامة من قلعة بني حماد (ت. 567هـ/1171م) الذي اتبع المذهب الشافعي.²

ومن أهم الكتب التي كانت تدرس في عهد بني زيان بالمغرب الأوسط: الموطأ للإمام مالك، والتمهيد لابن عبد البر.³ ومن أهم الفقهاء: سعيد بن محمد العقباني التلمساني، الذي كان فقيها في المذهب المالكي، وألف شرح الحوفية⁴، ومحمد عبد الله بن عبد النور الندرومي، وهو فقيه مالكي. درس على يد الأخوين: ابني الإمام، وبرز في الفقه على مذهب الإمام مالك.⁵

¹ - بوشقيف محمد: المرجع السابق، ص 145.

² - عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 326.

³ - عبدلي لخضر: المرجع السابق، ص 593.

⁴ - التتبيكتي: المصدر السابق، ص 190 - 189.

⁵ - عبدلي لخضر: المرجع السابق، ص 604.

علم الكلام والأصول

علم الكلام: هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد.¹

وترك ابن تومرت ميراثا في كتبه من أهمها: أعز ما يطلب، والعقيدة المرشدة. وبرز في المغرب الأوسط خلال هذه الفترة علماء في علم الكلام منهم: أحمد بن عبد الله بن خميس بن معاوية بن نصر الأزدي البلنسي. كان حافظا للفقه، عارفا بأصوله، أدبيا في نظم الكلام. توفي في جزائر بني مزغنة عام 548هـ.² ومن إنتاج المغرب الأوسط في عهد بني زيان في علم الكلام: محمد بن أحمد الشريف التلمساني الذي ألف كتابا في "القضاء والقدر"³

وأصول الفقه: هو علم يعرف منه استنباط الأحكام الشرعية والفرعية من أدلته الإجمالية، وموضوعية الأدلة الشرعية الكلية.⁴ وازدهر هذا العلم في المغرب الأوسط في كلا العهدين: أي عهد الموحدين وعهد الزيانيين. وممن برز في علم الأصول خلال فترة الموحدين: محمد بن إبراهيم المهدي البجائي، من أهل بجاية. كان بارعا ومتقدما في أصول الفقه حتى اشتهر بالأصولي.⁵ وكذلك من أشهر من علم بهذا العلم في عهد بني زيان: سيدي بن محمد العقباني التلمساني أخذ الأصول عن عبد الله الآبلي.⁶

¹ - ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص23.

² - عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، صص 143-144.

³ - محمد بوشقيف: المرجع السابق، ص167.

⁴ - حاجي خليفة: المصدر السابق، ج1، ص110.

⁵ - عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص271.

⁶ - ابن مريم: المصدر السابق، ص106.

علم التصوف¹

انتشر التيار الصوفي بالمغرب الأوسط في الحركة الدينية الإصلاحية التي عمد الموحدون على تطبيقها في دولتهم. وتندرج هذه الحركة السياسية في إطلاق حرية البحث والتفكير.² وأول من أسس الفكر الصوفي بالمغرب الأوسط: أبو مدين شعيب التلمساني،³ وكذلك إبراهيم بن محمد المصمودي التلمساني في عهد بني زيان.⁴

ب- العلوم اللسانية:⁵

كانت هذه العلوم شائعة في عهد الموحدين، لاسيما اللغة والنحو. وبلغت غاية كبرى، وخاصة في عهد يوسف بن عبد المؤمن. وكان من أحفظ الناس للغة.⁶

اللغة⁷ والنحو:⁸

تعتبر اللغة العربية من أغنى اللغات السامية وأرقاها. تتميز بكثرة المفردات، وتتصف بالمرونة والقدرة على صياغة المفردات.⁹

¹-التصوف: هو من العلوم الشرعية الحادثة في أهله. وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لا تنزل عند سلف الأئمة وكبارها. وأصل العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد. انظر، ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص149.

²-عبدلي لخضر: المرجع السابق، صص 631-632.

³-ابن القنفذ: المصدر السابق، ص11.

⁴-عبدلي لخضر: المرجع السابق، ص634.

⁵-العلوم اللسانية: وأركانها أربعة وهي: اللغة والنحو والبيان والأدب. ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة كلها من أحكام الكتاب والسنة وهما بلغة العرب. انظر ابن خلدون. المقدمة، ج3، ص236.

⁶-محمد المنوني: حضارة الموحدين، ص44.

⁷-علم اللغة: هو بيان الموضوعات اللغوية. انظر، ابن خلدون، المقدمة، ج3، ص239.

⁸-النحو: هو استنباط قوانين ملكة الكلام وقواعد تسييرها، ويلحقون الأشياء بها بالأسباب. انظر: نفسه، ج3، ص237.

⁹-عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص452.

وقد برز في هذا العهد: السهلي (ت. 581هـ/1185م)، وأبو الحجاج البلوي (ت. 604هـ/1207م).¹ وفي عهد بني زيان نجد سعيد بن محمد العقباني التلمساني الذي ساهم في علم اللغة بشرح البردة.²

وازدهر علم النحو في عهد الموحدين والزيانيين بالمغرب الأوسط، حيث نال إقبالا كبيرا لما لها من صلة بالعلوم الدينية والدنيوية. وقد نبغ فيه كثير من العلماء والأدباء، مثل: العماد، وابن رشيق القيرواني³، وابن عصفور (ت. 669هـ/1270م) صاحب المقرب في النحو.⁴

الأدب :

اشتهر الأدب العربي بالثراء والقوة، وخاصة في مجالس الشعر. وقد تأثر أدب المغرب الأوسط في هذه الفترة بأدب المشرق والأندلس العربيين دون أن يفقد شخصيته. ويمكن تصوير الإنتاج الأدبي للمغرب الأوسط على النحو التالي.⁵

الشعر:

اهتم الموحدون بالشعر، وخاصة في عهد عبد المؤمن بن علي الذي كان يشجع الشعراء ويستدعيهم إلى مجلسه. ونظم أبيات وقصائد. وكان شاعرا بارعا.⁶

¹ - عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين، دار العلم للملايين، بيروت، 1982، ج5، ص377.

² - ابن مريم: المصدر السابق، ص106.

³ - عبدلي لخضر: المرجع السابق، ص656-658.

⁴ - عمر فروخ: المرجع السابق، ج5، ص378.

⁵ - عبدلي لخضر: المرجع السابق، ص658.

⁶ - عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص158-159.

ومن أهم شعراء المغرب الأوسط خلال عصر الموحدين: أبو إسحاق بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن باديس بن القائد المحمزي، المعروف بابن القرقول. صاحب كتاب "مطالع الأنوار" (ت. 505هـ/1111م).¹

واستمر ازدهار الشعر في فترة بني زيان. وكان السلاطين أول من شجع واهتم بالشعر. ونجد الشاعر الثغري الذي ألف قصيدة يمدح فيها السلطان أبا حمو موسى الثاني،² ومن بين ما قال فيها:

حسنت بحسن ملكها المولى أبي * حمو الذي يحمي حمام أربابها
ملك شمائلها كزهر رياضها * وندادها فاض بها كفيض عبابها³

النثر:

هو الطريقة الاعتيادية في أداء المعنى بدون إيقاع أو قافية موحدة. ونهض العلماء والأدباء والسلاطين بالنثر نهضة كبيرة.⁴ ووجدت مجموعة من الذين برزوا في هذه الفترة الموحدية بالمغرب الأوسط، والتي أشارت إليها المصادر نجد: الفضل بن محمد بن علي بن طاهر بن تميم بن القيسي البجائي الأثري. كان بليغ الأدب، وبارع الكتابة، رائع الخط (ت. 598هـ/1201م).⁵

واشتهر العديد منهم في عهد الزيانيين، مثل: أبي بكر بن خطاب الأندلسي، من أهل تلمسان (ت. 689هـ/1290م) الذي ترك آثارا كبيرة في الكتابة في تلمسان في عهد يغمراسن.⁶

¹ - ابن خلكان: المصدر السابق، ج 1، ص 62.

² - عبدلي لخضر: المرجع السابق، ص 660.

³ - المقري: المصدر السابق، ج 7، ص 125.

⁴ - عبدلي لخضر: المرجع السابق، ص 662.

⁵ - عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الثامن، ص 260.

⁶ - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج 2، ص 456.

التاريخ¹ والسير:

وازدهر التاريخ في المغرب الأوسط في كلا العهدين الموحيدي و الزياني. وظهرت طائفة كبيرة من المؤرخين في المغرب كتبوا تواريخ عديدة، وتناولوا كثيرا من الفنون. فألفوا في السير والأنساب والتراجم وتاريخ الملوك وتاريخ البلدان. وأول من ابتكر التأليف في مولد الرسول ﷺ: أبو العباس أحمد بن محمد الغري اللخمي.²

وكذلك من ألف لعصر الدولة الموحدية البيدي الذي ألف أخبار المهدي بن تومرت، وصاحب كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب.³

وهناك من ألف للدولة الزيانية مثل: يحي بن خلدون وكتابه بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، بطلب من السلطان أبي حمو موسى الثاني؛ وكذلك المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا الحسن، لابن الخطيب جعله للسيرة الذاتية للسلطان أبي الحسن المريني.⁴

¹ - علم التاريخ: هو الوقوف على أحوال الأمم من الحوادث والوقائع المختلفة والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياساتهم حتى تتم الفائدة. انظر، ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص13.

² - محمد المنوني: العلوم والفنون في عهد الموحدين، ص 65.

³ - إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج1، ص356.

⁴ - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص467.

المطلب الثاني: العلوم العقلية

بالإضافة إلى العلوم النقلية التي عرفها المغرب الأوسط في عهد الموحدين و الزيانيين، عرف علم آخر وهو العلوم العقلية.¹ وتتجلى في كل من: الجغرافيا والفلك والطب والصيدلة والفلسفة والمنطق والرياضيات.

علم الجغرافيا² والفلك:

وخلال هذه الفترة، نجد بعض المؤلفات والمصنفات الجغرافية في المغرب الأوسط خلال الفترة الموحدية، وخاصة فترة يوسف بن عبد المؤمن.³

وعرف المسلمون وأدركوا خطورة وأهمية هذه العلوم نظرا للحاجة إليه في الحل والترحال، وفي العبادة والحج وطلب العلم. ونجد بعض المؤلفات الزيانية في الجغرافيا منها: كتاب الجغرافيا للزهري، وكتاب المسالك والممالك.⁴

وكذلك علم الفلك الذي درس في هذه المؤسسات. ونجد العالم المتفوق في هذا العلم: الشيخ الفقيه محمد بن أحمد التلمساني، المعروف بالحباك (ت. 867هـ/1462م)، ومحمد بن يوسف التونسي.⁵ ونلاحظ أن الإدريسي هو من فتح المجال للجغرافيا.⁶

¹ - العلوم العقلية: هي طبيعة الإنسان من حيث أنه ذو فكر. فهي مختصة بملة، بل يوجد النظر لأهل العلم كلهم ويستتون في مداركها. انظر: ابن خلدون، المقدمة، ج3، ص71.

² - علم الجغرافيا: هي علم يعرف به أحوال الأقاليم السبعة الواقعة في الربع المسكون من الكرة الأرضية وعروض البلدان. انظر حاجي خليفة: كشف الظنون، ص59.

³ - محمد المنوني: حضارة الموحدين، ص355.

⁴ - عبدلي لخضر: المرجع السابق، ص729-730.

⁵ - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص475.

⁶ - إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص355.

الطب¹ والصيدلة:

كان لعلم الطب أهمية كبرى في المغرب الأوسط في عهد الموحدين الذين اهتموا بهذا العلم، ولا سيما في عهد يوسف ويعقوب. واعتنوا بشؤون الرعاية الصحية، فبنوا المستشفيات وجعلوا لها هيئة مكلفة ومنظمة. وكان هذا العلم يدرس في المغرب. كما ازدهرت الصيدلة إلى جانب هذا العلم بحكم أنها علم تابع للطب وما يتوفر من ضروريات للعلاج.²

كما درس هذا العلم أيضا في تلمسان في عهد الزيانيين.³ وكانت مهنة الطب متداولة بعناية في تلمسان. وكان للعلماء والأطباء دور مهم بتدريس هذا العلم. وحرص سلاطين بني زيان على الاهتمام والاعتناء به.⁴

ونجد بعض الأطباء في هذه المرحلة، أي مرحلة الموحدين والزيانيين في المغرب الأوسط منهم: يحيى بن محمد بن السلوي⁵ وأحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن فرح. يعرف بالذهبي، ويكنى أبا العباس.⁶ أما في العهد الزياني فنجد: أبا القاسم محمد بن أبي القاسم الحكيم التلمساني الذي بلغ شأن كبيرا في علوم الطب، وأبا عبد الله محمد أبي جمعة التلالي من أهل تلمسان.⁷

¹ - الطب هو صناعة تنتظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح. انظر، ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص101.

² - محمد المنوني: العلوم والأدب والفنون على عهد الموحدين، ص123.

³ - مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ج2، ص298.

⁴ - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص248.

⁵ - إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج2، ص248.

⁶ - ابن أبي أصبعه: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، [نزار رضاء]، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د ت، ص497.

⁷ - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص248.

الفلسفة والمنطق¹:

شهد عهد الموحدين نشاطا في الفلسفة والمنطق.² وشهد أيضا نهضة كبيرة وخاصة في ولاية يوسف. وكان هو نفسه أول المنشغلين بها، والمحبين لها. وعرف بهذا الخليفة. وقد عمل على جمع كتب الفلسفة، وجمع إليها العلماء. وكان لهذا العلم مكانة كبرى، ويدرس في شتى أقطار المغرب.³

وازدهر علم المنطق إلى جانب الفلسفة في المغرب الأوسط.⁴

وخلال هذه الفترة المدروسة نجد العديد من الذين برعوا في هذا العلم. وخلال الفترتين الموحدية والزيانية مثلا أحمد بن عتيق بن الحسن بن زياد بن حرج البلنسي المكنى أبا العباس الذهبي (ت. 601هـ/1204م)⁵ الذي برع في علم الأصول ومعقولات المنطق وله فيها تصانيف، منها "المعقولات"⁶.

وقد غير اصطلاح المنطق في الفترة الأخيرة، وألحقوا به الكلام والجدل الذي يعد توابع الكلام. ومن أهم من ألف في هذا العلم في عهد بني زيان: محمد بن عباس التلمساني (871هـ/1466م) شرح الحمل الخونجي التي كانت عبارة عن طلاس يصعب فهمها وحفظها.⁷

¹ - المنطق: هو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات. انظر، ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص91.

² - يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج2، ص258.

³ - محمد المنوني: الأدب والفنون والعلوم في عهد الموحدين، ص99.

⁴ - حساني مختار: المرجع السابق، ج2، ص297.

⁵ - عبد الرحمان السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، [أبو الفضل إبراهيم]، دار الفكر، د.م، د.س، ط2 ج1، ص334.

⁶ - التتبيكتي: المصدر السابق، ص318.

⁷ - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج2، ص477.

علم الرياضيات :

كما نجد بالإضافة إلى العلوم العقلية الأخرى علما آخر، ألا وهو الرياضيات أو علم الحساب¹ والهندسة² والجبر³. وقد قدر الموحدون هذا العلم تقديرا كبيرا.⁴ واكتشف أيضا علماء المغرب والأندلس علم الجبر؛ وأن هذا العلم اشتق اسمه من العلامة جبر الأشبيلي.⁵ ولقد درس هذا العلم في مؤسسات المغرب الأوسط. ومن أهم العلماء خلال عهد الموحدين نجد منهم: محمد عبد الحق بن ربيع البجائي الأنصاري (ت. 675هـ/1276م) إلى جانب أصول الفقه والمنطق، نبغ كذلك في الحساب⁶.

وازدھر هذا العلم في عهد بني زيان كغيره من العلوم. ونبغ فيه العديد من العلماء، مثل: سعيد بن محمد العقباني التلمساني (ت. 811هـ/1408م). ومما ساهم به في هذا العلم شرح كتاب التلخيص⁷، وكذلك أبو العباس أحمد بن القباب، وله عدة مؤلفات منها: شرح على قواعد القاضي عياض، وشرح بيوع أبي جماعة.⁸

¹ -الحساب: هو صناعة علمية في حساب الأعداد والضم والتفريق. ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص78.

² -علم الهندسة: هي علم النظر في المقادير أما المتصلة كالخط والسطح والجسم أو المنفصلة كالأعداد وفيها يعرض لها من العوارض الذاتية. انظر: ابن خلدون، المقدمة، ج3، ص84.

³ -الجبر: هي صناعة يستخرج منها العدد المجهول من قبل المعلوم المفروض إذا كان بينهما نسبة تقتضي ذلك. انظر، ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص80.

⁴ -محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ص103.

⁵ -يوسف اشباخ: المرجع السابق، ج2، ص259.

⁶ -الغبريني: عنوان الدراية، المصدر السابق، ص57.

⁷ -ابن مريم: المصدر السابق، ص106-107.

⁸ -حساني مختار: المرجع السابق، ج2، ص306.

المبحث الثاني: دور المؤسسات في ترسيخ المذهب المالكي في فترة بني زيان.

المطلب الأول: ترسيخ المذهب المالكي في المغرب الأوسط

برز دور المؤسسات التعليمية في تلمسان الزيانية في ترسيخ المذهب المالكي. وكان دور المدارس بارزا بشكل واضح وهادف من السلطات وأمراء الدولة في تثبيت مذهب مالك بن أنس¹ ومحاربة المذاهب الأخرى.

وكان إنشاء المدارس مخصصا لتدريس العلوم المقترنة بالمذهب المالكي. وتهدف إلى إنتاج فئة من العلماء البارعين العاملين بهذا المذهب. وكان إنشاؤها من أجل إحياء المذهب المالكي، ورد الاعتبار للعلماء الذين تعرضوا إلى مضايقات من الموحدين، وإلى المحاربة من قبل الفقهاء والعلماء الموحدين.² وكان الاجتهاد في هذه المدارس بغية الحصول على هدف سام، يتمثل في تخريج فقهاء وعلماء مالكية. وقد نبغ العديد من العلماء والطلاب، وحرصوا على الدراسة وطلب العلم. وقد رحلوا إلى العديد من الأماكن لاستحضار المعلومات، وخاصة الرحلات التي كانت باتجاه الحجاز.³

ونجد خلال هذه الفترة أن معظم طلبة وعلماء هذه المؤسسات كان اختصاصهم اختصاصا فقهيا، وخاصة المدرسة التلمسانية، مدرسة أولاد الإمام.⁴ ونجد شيخ ومدرس المالكية بتلمسان أبا زيد كان شيخا مالكيا. وهذا تجلّى من خلال مناقشته ومحاورته الفقهية وأصولها.⁵

¹ - الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثير بن عمرو بن الحارث، وهو ذو الأصابع. ولد عام 93 هـ وتوفي سنة 179 هـ. انظر، ابن فرحون : الديباج المذهب، ص 56.

² - صالح بن قربة وآخرون: تاريخ الجزائر الوسيط من خلال المصادر، ص 56.

³ - هادي جلول: "الرحلة في طلب العلم في تلمسان في العهد الزياني، ق 7-9 هـ/13-15 م"، مجلة كان التاريخية، العدد 25، 2013، ص 136.

⁴ - ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص 266-267.

⁵ - ابن مريم: المصدر السابق، ص 127.

ونجد هناك مسألة الاجتهاد المطروحة في المصادر من وجهة نظر كل من أبي موسى عيسى بن محمد بن الإمام، وكذلك أبو عبد الله الشريف التلمساني. فالأول يذكر أنه يقسم الاجتهاد إلى قسمين: الأول اجتهاد مطلق، وفيه يسلك المجتهد الدليل المطلق دون العودة إلى من سبقه من العلماء. والقسم الثاني اجتهاد في إطار المذهب، وفيه استنباط من أصول المذهب المتبعة من قبله.¹

وقد حدد الشريف التلمساني الاجتهاد في نوعين: الأول أن يكون المجتهد عالما بقواعد الشريعة ومحيطا بمعارفها. والنوع الثاني المجتهد يكون في إطار إمام معين؛ وفيه يكون المجتهد مطلعاً على قواعد إمامه الذي قلده. وقد كان رأي الشريف مطابقاً لرأي شيخه ابن الإمام. وبهذا يتضح أن الاجتهاد صنفان: إما مطلق أو مقيد. وخلال هذه الفترة اهتم العلماء بالتقليد والنقل.²

المطلب الثاني: نماذج من المجتهدين في تلمسان الزيانية

رغم سيادة ظاهرة التقليد لدى علماء هذه الفترة، إلا أننا وجدنا العديد منهم من اجتهد في المذهب المالكي، ومن بين هؤلاء:

- ابن الإمام اللذان كانا من المجتهدين، وقد تركا التقليد.³
- والشيخ منصور بن أحمد المشدالي الذي قال عنه الخطيب ابن مرزوق الجد: قد وصل شيخنا أبو علي درجة الاجتهاد. سمعته من جماعة من أصحابه كالفقيه المسفر، والفقيه محمد الكاتب، والفقيه عمران المشدالي. وقد كان مطلعاً بالعلوم، ومن المتألقين في النوازل.⁴

¹-الونشريسي: المصدر السابق، ج11، صص274-275.

²-عبد الجليل قريان: المرجع السابق، ص286.

³-التبكتي:المصدر السابق، ص246.

⁴-نفسه، ص610.

- وأبو عبد الله المقري (الجد): وقد قال عنه ابن مرزوق الخطيب: أنه وصل إلى الاجتهاد المذهبي ودرجة التخيير والترجيح بين الأقوال و قد ذكر¹ فيه أيضا أنه كان مجتهدا².

- الشريف التلمساني- سعيد بن محمد العقباني: وقد قال عنه ابن خلدون ولمن ذكرنا من أهل السنة الثامنة انتهت طريقة التعليم وملكة التلقي، ويعني بذلك الشريف والعقباني رحمهما الله تعالى، كونهما ألفا التصانيف البعيدة وزاحمهما الاجتهاد³.

- قاسم بن سعد بن محمد التلمساني: شيخ الإسلام ومفتي الأنام، الفرد الحافظ القدوة العلامة المجتهد العارف المعمر. وقد درس العلوم حتى وصل إلى درجة الاجتهاد⁴.

- ابن مرزوق الحفيد: ذكر ابن مريم أن مرزوق الحفيد قد وصل مرتبة الاجتهاد، حيث قال عنه أنه: الحافظ المحقق الكبير. إنه تقي زاهد، المجتهد الأبرع، الفقيه الأصولي المفسر المحدث⁵.

وخلاصة لما سبق، هو أنه من دراستنا للعلوم المدروسة وللعلماء وتأليفهم، نجد أنه خلال هذا العصر الموحد والزياني قد ازدهرت العلوم، وزادت حركة التأليف، وبروز العلماء. وقد أصبحت أسر عالمة وبيوتا للعلم. وبالرغم من ازدهار حركة التأليف، إلا أننا نلاحظ في العصر الزياني أنه طغى التقليد على العلم في كافة المجالات، وخاصة المجال الديني أو العلوم الدينية. فكان معظمها عبارة عن نقل. وإذا ذكرنا بعض المجتهدين، إلا أنهم كانوا أقلية مقارنة بالعهود الأخرى وبالعلوم الأخرى. غير أنه في هذا العهد الزياني، استطاعت الدولة وسلطينها تثبيت المذهب المالكي، وترسيخه في كافة المغرب الأوسط.

¹- عبد الجليل قريان: المرجع السابق، ص 291.

²- المقري: نفح الطيب، ج 5، ص 208.

³- المقري: أزهار الرياض، ج 3، ص 20.

⁴- ابن مريم: المصدر السابق، ص 147.

⁵- نفسه، ص 201.

خاتمة

خاتمة

عرف المغرب الأوسط حياة فكرية علمية مزدهرة خلال فترة الموحدين والزيانيين بفضل حواضرها ومجالها الجغرافي الشاسع، وعلمائها الذين درسوا في شتى أنحاء العالم، وخاصة بلاد الحجاز. وقد احتل المغرب الأوسط مكانة رائدة ضمن المجال الموحي والزياني التي تميز بها أهله وولاته، ورعايتهم للأدب والعلوم الشرعية، واستقطابهم العلماء من مختلف الحواضر.

لقد استطاع الموحدون الحفاظ على التقدم العلمي وعلى المراكز التعليمية، وتنظيم حركة التعليم بها بعد قضائهم على دولة المرابطين و الحماديين. ورغم التناحر الإقليمي والسياسي للمغرب الأوسط في عهد الزيانيين، إلا أن الحياة العلمية والفكرية، خاصة في تشييد المراكز التعليمية كانت مزدهرة، مما أدى إلى انتعاش حركة التأليف، وبروز عدد كبير من العلماء، سواء من داخل تلمسان أو من خارجه للدراسة في الجامع الأعظم الذي ظل يضاها في شموخه ومكانته العلمية كلا من جامع الزيتونة وجامع الأزهر.

ومما ساعد على ازدهار الحركة العلمية داخل هذه المؤسسات، هو الهجرة الأندلسية نحو المغرب الأوسط، وخاصة خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين. فكان منهم علماء ساهموا في ازدهار الحركة العلمية والفكرية.

وتنوعت المؤسسات التعليمية من مدارس شعبية متواضعة و مدارس حكومية منظمة. حيث يبدأ التعليم من الكتاب والمساجد، وصولاً إلى المدرسة، ثم الدراسة العليا التي تتم في الحواضر الكبرى التي يقوم بالدراسة فيها شيوخ ذوو علم غزير، وعقل مستنير. وأصبح المغرب الأوسط في الفترة المدروسة قبلة لطلاب العلم.

وقد تأخر ظهور المدارس النظامية بصورة جلية في عهد الزيانيين، لأن السلطة الموحدية قصرت جهودها على تشييد المدارس في العاصمة مراكش فقط .

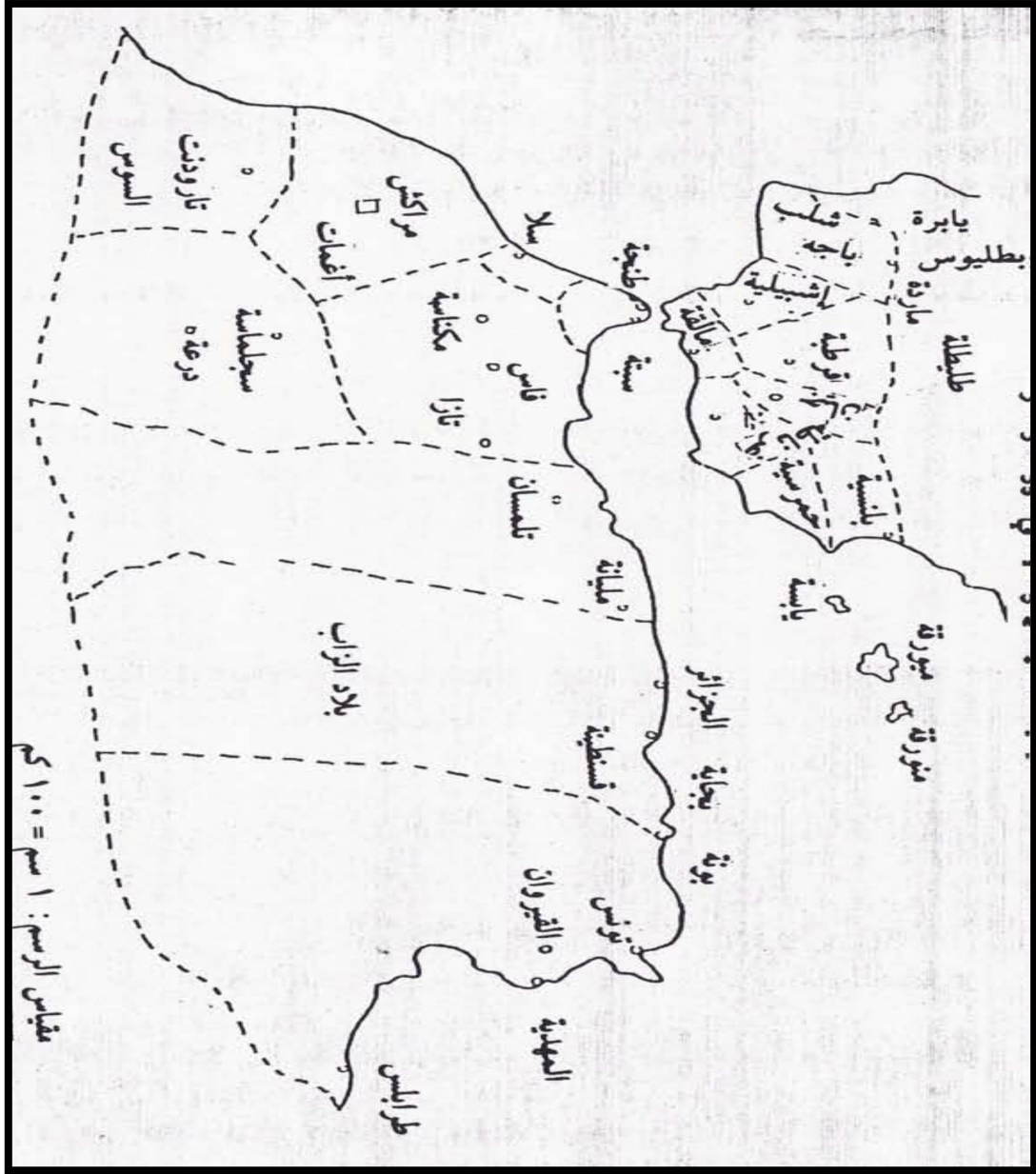
وتنوعت أساليب التعليم من مرحلة إلى أخرى، ومن مركز إلى آخر، بدءا بالسهل لتعليم الصبيان، ويتطور مع تطورهم العمري من الإلقاء والحفظ إلى المناظرة والجدل. وازدهرت حركة التأليف في المغرب الأوسط في عهد الموحدين. وقد حارب سلاطين الموحدين التقليد والجمود، بينما أصبح التقليد ظاهرة سائدة في عهد بني زيان، وقل الاجتهاد بصورة واضحة. وتنوعت العلوم داخل المراكز التعليمية من علوم نقلية إلى أخرى عقلية.

أما الاختلاف فكان في المذهب الظاهري الذي يتبعه الموحدون، والمذهب المالكي الذي اعتنقه بنو زيان. وعمل السلاطين على ترسيخه وتدريسه في كل المراكز التابعة لدولتهم. كما أن بعض الفئات قد تبنت المذهب الشافعي والحنفي.

وقد أثر الوضع السياسي ومقر الحكم في نمو وازدهار المراكز التعليمية في المغرب الأوسط بشكل جلي، من خلال وجود سلطة بني زيان في المغرب الأوسط بتلمسان وازدهار مراكزها، وكذلك التطور الملحوظ داخل هذه المراكز، بعكس الموحدين الذين اقتصر اهتمامهم بالعاصمة مراكش أكثر من باقي الجهات الأخرى .

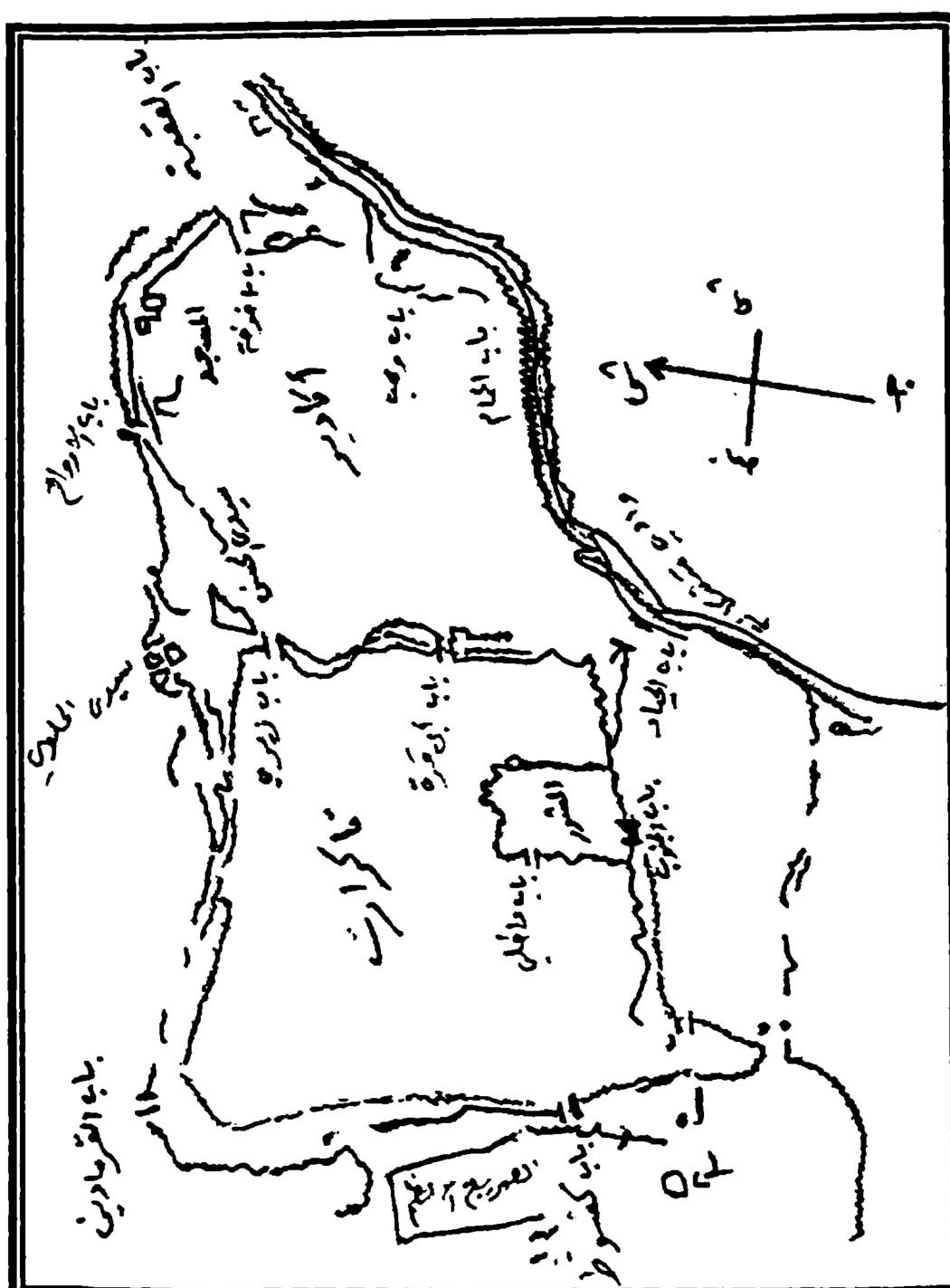
ملاحق

خريطة توضح ولايات الدولة الموحدية في دور الازدهار .



عز الدين عمر موسى : الموحدون في الغرب الإسلامي - تنظيماتهم و نظمهم - . دار الغرب الاسلامي . د م . د ت . د ط . ص 176.

خريطة توضح تلمسان في العهد الزياني .



عبد العزيز فيلاي : المرجع السابق ، ص 626 .

خريطة تبين المساجد و المدارس في تلمسان في العهد الزياني .



محمد عبد الله التنسي: المصدر السابق. ص 296

قائمة المصادر

والمراجع

أولاً: المصادر التاريخية

القرن الكريم

- 1- ابن الآبار (ابو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي) (ت. 658هـ/1259م): **التكملة لكتاب الصلة**, طبعة مدريد, ج2, 1919م.
- 2- ابن أبي اصبغة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**, دار الكتب العلمية, بيروت, 1978م.
- 3- ابن أبي زرع الفاسي (ابو الحسن علي بن عبد الله الفاسي ت 726هـ/1326م): **الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس**: تح [كارل يوحنا تورترغ], دار الطباعة المدرسية, اوسبالة, 1843م.
- 4- ابن الأثير (ابو الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين): **الكامل في التاريخ**. تح [محمد يوسف الدقاق], دار الكتب العلمية, بيروت, 2003, ط4, مج9, د. ت.
- 5- ابن الأحرر. (ابو الوليد إسماعيل بن يوسف الأنصاري ت 810هـ/1408م): **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**. تح [هاني سلامة]. مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع. بور سعيد. 2001م.
- 6- ابن الخطيب (ابو عبد الله بن عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي ت 776هـ/1375م): **رقم الحل في نظم الدول**. المطبعة العمومية. تونس. 1895م.
- 7- ابن خلدون (ابو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي ت 808هـ/1405م): **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**. ضبط الحواشي والفهرس [خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار]. دار الفكر للطباعة. بيروت. ط1. 2000م, مج6-7.
- 8- —، —: **المقدمة**. تح [عبد السلام الشداوي]. بيت الفنون والعلوم والأدب. الدار البيضاء. 2005م. ج3-1.
- 9- ابن خلكان (ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ت 681هـ/1282م): **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**. تح [احسان عباس]. دار صادر. بيروت. د. ت. مج2.
- 10- ابن سحنون محمد (ابو عبد الله محمد بن أبي سعيد سحنون ت 286هـ/899م): **كتاب أدب المعلمين**, مر [محمد العروسي المطوي]. منشورات دار الكتب الشرقية, تونس 1972م.

- 11- ابن شقدة (ابو الفلاح عبد الحي احمد الصالحي ت 1089هـ / 1678م): حول منتخب شذرات الذهب، د د ن، د م، د ت، ج 6.
- 12- ابن صاحب الصلاة (ابو مروان عبد الملك بن محمد الباجي كان حيا 594هـ/1198م): المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح [عبد الهادي النازي]، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1987م.
- 13- ابن عبد الله التنسي محمد: تاريخ بن زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح [محمود أغا بوعياذ]، موفم للشر، الجزائر، 2011م.
- 14- ابن عبدون (ابو عبد الله محمد بن احمد التجيبي الاشبيلي من أهل القرن 412هـ/1021م): رسالة في القضاء والحسبة، تح [إيفي بروفنسال]، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.
- 15- ابن فرحون (إبراهيم بن نور الدين علي اليعمري المدني ابو الوفاء ت 799هـ/1396م): الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تح [مأمون بن محي الدين الجنان]، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996م.
- 16- ابن القطان (ابو محمد حسن بن علي الكتامي كان حيا سنة 650هـ/1252م): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح [محمد علي مكي]، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1990م.
- 17- ابن مريم (ابو عبد الله محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني) (1379/781م): البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح [محمد بن ابي شنب]، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.
- 18- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ت، مج 6.
- 19- البيهقي (ابو بكر بن علي الصنهاجي ت 555هـ/1160م): أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والورق، الرباط، 1971م.
- 20- التادلي (ابو يعقوب يوسف بن يحيى بن الزيات ت 617هـ/1221م): التشوف إلى رجالا لتصوف، تح [احمد توفيق]، منشورات كلية العلوم والإنسانية، الرباط، ط 2، 1997م.

- 21- التبتكتي(ابو العباس أحمد بابا بن أحمد الصنهاجي الماسي ت 1036هـ/1627م):نيل الابتهاج في تطريز الديباج, تق[عبد الحميد بن عبد الله الهرامة], منشورات دار الكتاب, طرابلس, ط2, 2000م.
- 22- الجراعي(ابو بكر تقي الدين زيد الجراعي الصالحي الحنبلي ت 883هـ/1477م):تحفة الراعي والساجد بأحكام المساجد, تح[صالح سالم النهام و آخرون], إدارة المساجد الفروانية المراقبة الثقافية, الكويت, 2004م.
- 23- حاجي خليفة(مصطفى بن عبد الله الشهيد بكاتب جلبي ت 1068هـ/1657م):كشف الظنون عن أسمى الكتب والفنون, تصحيح وتعليق [محمد سيف الدين التقايا], دار حياة التراث العربي, بيروت, دت.
- 24- الذهبي(ابو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان التركماني الدمشقي ت748هـ/1347م):تذكرة الحافظ, دار الكتب العلمية, بيروت, ط18, 1955م.
- 25- السيوطي(جلال الدين عبد الرحمان ت 911هـ/1505م):بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة, تح [محمد ابو الفضل إبراهيم], دار الفكر, القاهرة, ط2, 1979م, ج1.
- 26- الغبريني(ابو العباس احمد بن احمد ت714هـ/1314م):عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية, تح[عادل نونهض],دار الأفاق الجديدة, بيروت, ط2, 1979م.
- 27- القفطي(جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف القفطي ت 624هـ/1227م):أنباء الرواة عن أنباء النحاة, تح[محمد أبو الفضل إبراهيم],دار الفكر العربي, القاهرة, 1986م, ج2.
- 28- ابن قنفذ(ابو العباس احمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني ت 810هـ/1407م): الوفيات, تح[عادل نويهض],دار الأفاق الجديدة, بيروت, ط4, 1983م.
- 29- مجهول المراكشي(كان حيا سنة 587هـ/1191م):الاستبصار في عجائب الامصار, تعليق[سعد زغلول عبد الحميد], دار النشر المغربية, الدار البيضاء, 1985م.
- 30- مجهول(كان حيا سنة 783هـ/1381م):الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية, تح[سعيد زكار وعبد القادر زمامة],دار الرشاد الحديثة, الدار البيضاء, 1979م.

- 31- المراكشي بن عبد الملك (ابو عبد الله محمد بن محمد ت 703هـ/1303م): **الذيل والتكملة لكتابي الصلة والموصول**, تح[الدكتور محمد بن شريفة], القسم الأول, السفر الأول و الثامن, منشورات اكااديمية المملكة المغربية, الرباط, 1984م.
- 32- المراكشي(عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي محي الدين ت 647هـ/1249م): **تلخيص أخبار المغرب**, تح[ليفي بروفنسال], مطبعة برلين, ليون, 1881م.
- 33- المغراوي (احمد بن ابي جمعة ت 920هـ/1514م): **جامع جوامع الاختصار فيما يعرض للمعلم وآباء الصبيان والتبيان**, تح[احمد حلولي البدوي ورابح بونار], الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر, د.ت.
- 34- المقرئ (ابو العباس شهاب الدين احمد بن محمد القرشي المقرئ التلمساني ت 1041هـ/1632م): **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**, تح[مصطفى السقا وآخرون], مطبعة التأليف والترجمة والنشر, القاهرة, مصر, 1942م, ج.3.
- 35- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**, تح[احسان عباس], دار صادر, بيروت, 1988م, ج.6.
- 36- المقرئزي(ابو العباس بن علي الحسيني البعلي ت 845هـ/1441م): **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار الخطط المقرئزية**, دار صادر, بيروت, د.ت.
- 37- الوادي أشي (شمس الدين محمد بن جابر التونسي ت 749هـ/1348م): **برنامج ابن جابر الوادي أشي**, تح[محمد الحبيب الهيلة], د.د ن, تونس, 1981م.
- 38- الونشريسي(ابو العباس احمد بن يحي التلمساني ت 914هـ/150م): **المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب**, وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية, المملكة المغربية, الرباط, 1981م.

المصادر الجغرافية

- 1- ابن حوقل (ابو القاسم محمد بن علي الموصلي البغدادي الضيبي ت 367هـ/1286م): **صورة الأرض**, منشورات مكتبة دار الحياة, بيروت, 1992م.
- 2- ابن سعيد المغربي(ابو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد ت 685هـ/1286م): **كتاب الجغرافيا**, تح [إسماعيل العربي], منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر, بيروت, 1970م.

- 3- أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماة ت 732هـ/1331م): **تقويم البلدان**, اعتنى به [رينود والبارون ماك كوكين ديسلان], دار صادر بيروت, 1840م.
- 4- الإدريسي (أبو عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني السبتي المعروف بالشريف ت 650هـ/1165م): **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**, مكتبة الثقافة الدينية, القاهرة, 2002م, مج 1.
- 5- البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز ت 487هـ/1094م): **المغرب في ذكر أفريقيا والمغرب**, هو جزء من كتاب المسالك والممالك, مكتبة المثنى, بغداد, ط 2, د ت.
- 6- الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي ت 626هـ/1228م): **معجم البلدان**, دار صادر, بيروت, 1977م.
- 7- الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي السبتي ت 727هـ/1327م): **الروض المعطار في خبر الأقطار**, تح [إحسان عباس], مكتبة لبنان, بيروت, ط 2, 1984م.
- 8- العبدري (محمد العبدري البلسمي ت 720هـ/1320م): **الرحلة المغربية**, تح [سعد بوفلاحة], منشورات بونة للبحوث والدراسات, الجزائر, 2007م.
- 9- مارمول كريخال كان حيا سنة 979هـ/1571م): **إفريقيا**, تر [محمد حجي وآخرون], دار المعرفة, الرباط, 1984, ج 2.
- 10- المقديسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البت الشامي المقدسي المعروف بالبشاري ت 379هـ/989م): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**, دار صادر, بيروت, ط 2, 1909م.
- 10- الوزان (أبو علي الحسن بن محمد الفاسي كان حيا 957هـ/1550م): **وصف إفريقيا**, تر [محمد حجي ومحمد الأخضر], دار الغرب الإسلامي, بيروت, ط 2, 1983, ج 2.

ثانيا المراجع:

- 1- أبو مصطفى كمال السيد: **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل فتاوى المعيار المغرب للنشرية**, الاسكندرية للكتاب, 1996م.
- 2- أمين أحمد: **ضحى الإسلام**, مكتبة الأسرة, القاهرة, 1997م, ج 1.
- 3- أحمد فؤاد الأهواني: **التربية في الإسلام**, دار المعارف, مصر, 1968م.

- 4- بالعربي خالد:ورقات زيانية دراسات وانجازات في تاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني, دار هومة, الجزائر, 2014م.
- 5- بن عبد الله بن عبد العزيز: معلمة القرآن والحديث بالمغرب الأقصى, دار الثقافة والنشر بالجامعة, الرباط, 1985م.
- 6- بن عمرو الطاهر محمد:تلمسان عبر العصور, المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر, 1984م.
- 7- بن قرية صالح وآخرون: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر, المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية, الجزائر, 2007م.
- 8- —, —: عبد المؤمن بن علي مؤسس الدولة الموحدية,الجزائر, المؤسسة الوطنية للكتاب, 1991م.
- 9- بوخالفة عزي:تلمسان منارة الإشعاع الفكري والحضاري, وزارة الثقافة, بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية, د م, 2011م.
- 10- بوطبل عبد القادر:تاريخ مدينة حمو موسى في الماضي والحاضر, موفم للنشر, الجزائر, 2011م.
- 11- بوعزيز يحي:تلمسان عاصمة المغرب الأوسط, منشورات وزارة الثقافة والسياحة, مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث, الجزائر, د ت.
- 12- التليدي عبد الله بن عبد القادر:المطرب بمشاهير أولياء المغرب, دار الامان, الرباط, ط4, 2003م.
- 13- تموريات احمد: المذاهب الفقهية الأربعة, تق [محمد ابو زهرة], دار القادري, بيروت, 1990م.
- 14- الجيلالي عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام, مكتبة الشركة الجزائرية, الجزائر, 1965, ط2, ج2.
- 15- حاجيات عبد الحميد: ابو حمو موسى الزياني وآثاره, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر, ط2, 1982م.
- 16- —, —: دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي, عالم المعرفة, الجزائر, 2011م, ج1.

- 17- _____، _____: أزهار النسيان في ذكر تلمسان مدينة العلماء والأولياء، تح[حميدي خميسي]، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، الجزائر، 2011م، ج9.
- 18- حرز الله محمد العربي: تلمسان مهد الحضارة وواحة الثقافة، دار السبيل، تلمسان، 2011م.
- 19- حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000م.
- 20- حساني مختار: تاريخ الجزائر الوسيط، دار الهدى، الجزائر، 2013م، ج1.
- 21- حساني مختار: تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاقتصادية والثقافية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م، ج1-2.
- 22- _____، _____: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية مدن الشرق، دار الحكمة، الجزائر، 2007م، ج3.
- 23- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مصر، مكتبة الخانجي، 1980م.
- 20- صابر الخطيب: فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، جسر تلمسان، د م، 2011م.
- 24- رزوق محمد: دراسات في تاريخ المغرب إفريقيا الشمالية، د د ن، الدار البيضاء، 1991م.
- 25- السائح حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط2، 1986م.
- 26- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ج1.
- 27- السلاوي الناصري: الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، تح[جعفر الناصري و محمد الناصري]، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م.
- 28- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة الشباب الجامعية، الاسكندرية، 1999م.
- 29- ضيف شوقي: عصر الدول والإمارات، الجزائر - المغرب الأقصى - موريتانيا، السودان، دار المعارف، القاهرة، د ت.

- 30- طه جمال أحمد: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين (448هـ/1256م-668هـ/1269م) دراسة سياسية وحضارية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، د. ت.
- 31- عبدلي لخضر: تاريخ مملكة تلمسان في عهد بني زيان، د. م، دار الأوطان، 2011م.
- 32- علوي محمد الطاهر: العالم الرياني ابو مدين شعيب التلمساني، مر [ابو بكر مرزوق] دار تلمسان، د. م، 2011م.
- 33- فروخ عمر: تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، دار العلم للملايين، بيروت، 1982م، ج 5.
- 34- فيلاي عبد العزيز: تلمسان ف: ي العهد الزياني، ج 2، موفم للنشر، الجزائر، 2002م.
- 35- قريان عبد الجليل: التعليم بتلمسان في العهد الزياني، تلمسان، جسر للنشر والتوزيع. 2011م.
- 36- كامل عبد الرزاق شقدان بسام: تلمسان في العهد الزياني (633-962هـ/1235-1555م) جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2002م.
- 37- الكتاني يوسف: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت، د. ت، ج 1-2.
- 38- كنون عبد الله: النبوغ المغربي في الأدب العربي، د. م، د. ن، د. ت، ط 2، ج 1.
- 39- مخلوف محمد بن محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.
- 40- المنوني محمد: حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1989م.
- 41- _____، _____: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، الرباط، دار المغرب، ط 2، 1977م.
- 42- مؤنس حسين: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987م.
- 43- ميدون عز الدين: ندرومة مدينة عبد المؤمن، الجزائر، دار السبيل، 2011م، ج 2.
- 44- المليي مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق [محمد المليي]، د. م المؤسسة الوطنية للكتاب، د. ت، ج 2.

المراجع المترجمة:

- 1- أشباح يوسف: تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين, تر[محمد عبد الله عنان], القاهرة, مكتبة الخانجي, ط2, 1996م.
- 2- برنشفيك روبر: تاريخ افريقية في العهد الحفصي, تر[حمادي الساحلي], بيروت, دار الغرب الإسلامي, 1988م.

ثالثا الرسائل الجامعية:

- 1- أحمد النجار ليلي: المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي دراسة تاريخية وحضارية, أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي. كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. جامعة أم القرى. 1410هـ.
- 2- بلغيث محمد الأمين: الربط بالغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين, رسالة ماجستير, جامعة الجزائر, 1987م.
- 3- بوشقيف محمد: تطور العلوم بالمغرب خلال القرنين الثامن والتاسع هجريين (14.15هـ), رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه, جامعة ابو بكر بالقائد, تلمسان, 2011م.
- 4- عشي علي: المغرب الأوسط في عهد الموحدين, دراسة تحليلية للأوضاع الثقافية والفكرية (534هـ/1139م - 633هـ/1235م), رسالة في الماجستير, جامعة الحاج لخضر, باتنة. 2012م.

رابعا الدوريات والمجلات:

- 1- بورويبة رشيد: وهران فن وثقافة, وزارة الإعلام والجزائر, 1983م.
- 2- حاجيات عبد الحميد: الحياة الفكرية في عهد بني زيان, مجلة الأصالة, السنة الرابعة, العدد 26, جويلية-أوت, 1975م.
- 3- حنشي محمد سعيد: تاريخ خزائن الكتب في المغرب الأقصى وذكر بعض فهارسها, مجلة آفاق الثقافة والتراث, مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث, دبي, الإمارات العربية المتحدة, العدد 72, ديسمبر 2010م.
- 4- جلول هادي: الرحلة في طلب العلم في تلمسان في العهد الزياني, ق 7-9هـ/13-15م, مجلة كان التاريخية, العدد 25, 2013م.

- 5- عبد الملك محمد مروان: صور التعليم والحياة العلمية في الحضارة العربية الاسلامية, مجلة دار الشؤون الثقافية العامة, وزارة الثقافة والإعلام, بغداد, مج29, العدد1, 2011م.
- 6- قويدر عباس: المؤسسات التعليمية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن هجري الرابع عشر ميلادي, دورية كان التاريخية, السنة الخامسة, العدد 18, ديسمبر 2012م.

فهرس

المحتويات

	الآية
	شكر و عرفان
	قائمة المختصرات
أ- و	مقدمة
فصل تمهيدي: المجال الجغرافي للمغرب الأوسط وأهم الحواضر العلمية	
ص 8-20	المجال الجغرافي للمغرب الأوسط وأهم الحواضر العلمية
الفصل الأول : عوامل ازدهار المراكز التعليمية للمغرب الأوسط بداية الموحدين ونهاية الزيانيين	
ص 22-27	أولا : عوامل ازدهار المراكز التعليمية في المغرب الأوسط من بداية عهد الموحدين إلى نهاية الزيانيين.
ص 22-23	أ- الاستقرار السياسي في عهد الموحدين
ص 23-24	ب- دور السلاطين الموحدين والزيانيين في التشجيع العلمي
ص 25-26	ج- دور الاندلسيين في ازدهار الحياة العلمية
ص 26-46	ثانيا : المراكز التعليمية في المغرب الأوسط من بداية الموحدين إلى نهاية الزيانيين.
ص 28-32	أ- المساجد
ص 32-35	ب- الكتاتيب
ص 35-37	ج- الرباطات والزوايا
ص 37-42	د- المدارس
ص 42-44	هـ- المكتبات
الفصل الثاني : نظام التعليم في المراكز التعليمية في المغرب الأوسط خلال عصر الموحدين والزيانيين	
ص 46-54	أولا : مراحل وطرق التعليم
ص 46-50	أ- مراحل التعليم
ص 51-54	ب- طرق التدريس في المؤسسات التعليمية

ص 54-59	ثانيا : الاجازة العلمية وأهم المجازين
ص 54-56	أ- الاجازة العلمية
ص 57-59	ب- نماذج من الاجازة
	الفصل الثالث : أهم العلوم المدرسة ودور المراكز التعليمية في ترسيخ المذهب المالكي في عهد بنو زيان
ص 61-75	أولا : أهم العلوم المدرسة خلال العهدين
ص 61-71	أ- العلوم النقلية
ص 72-75	ب- العلوم العقلية
ص 76-78	ثانيا : دور المؤسسات في ترسيخ المذهب المالكي في فترة بني زيان
ص 76-77	أ- ترسيخ المذهب المالكي
ص 77-78	ب- نماذج من المجتهدين في تلمسان الزيرية
ص 80-81	خاتمة
ص 83-85	الملاحق
ص 87-96	المصادر والمراجع
ص 98-99	الفهارس